س (٢٨): مَا دَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ؟

ج: قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] الآيَةَ.

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١]، وَغَيرُهَا مِنَ الآيَاتِ.

Scanned by CamScanner

س (٢٩): مَا مَعنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ؟

ج: هُوَ التَّصدِيقُ الجَازِمُ مِن صَمِيمِ القَلبِ، المُوَاطِئُ لِقَولِ اللِّسَانِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ، وَرَسُولُهُ إِلَىٰ كَافَّةِ النَّاسِ إِنسِهِم وَجِنِّهِم ﴿شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].

(ما) فَيَجِبُ تَصدِيقُهُ فِي جَمِيعِ مَا أَخبَرَ بِهِ مِن أَنبَاءِ مَا قَد سَبَقَ، وَأَخبَارِ مَا سَيَأتِي، وَفِيمَا أَحَلَّ مِن حَلَالٍ، وَحَرَّمَ مِن حَرَامٍ.

وَالِامتِثَالُ وَالانقِيَادُ لِمَا أَمَرَ بِهِ، وَالكَفُّ وَالانتِهَاءُ عَمَّا نَهَىٰ عَنهُ.

وَاتِّبَاعُ شَرِيعَتِهِ، وَالتِزَامُ سُنَّتِهِ فِي السِّرِّ وَالجَهرِ، مَعَ الرِّضَا بِمَا قَضَاهُ وَالتَّسلِيمِ لَهُ، وَأَنَّ طَاعَتَهُ هِيَ طَاعَةُ اللهِ، وَمَعصِيَتَهُ مَعصِيَةُ اللهِ؛ لِأَنَّهُ مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ رِسَالَتَهُ، وَلَم يَتَوَفَّهُ اللهُ حَتَّىٰ أَكمَلَ بِهِ الدِّينَ، وَبَلَّغَ البَلَاغَ المُبِينَ، وَتَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَى المَحَجَّةِ البَيضَاءِ لَيلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنهَا بَعدَهُ إِلَّا هَالِكٌ، وَفِي هَذَا البَابِ مَسَائِلُ سَتَأتِي إِن شَاءَ اللهُ. [١]

الشرح

[١] إِنَّ التَّأَمُّلَ فِي مَعنَىٰ شَهَادَةِ: «أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» يُورِثُ المَرءَ كَثِيرًا مِنَ التَّأَنِّي؛ نَظرًا فِي إِيمَانِهِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ العَظِيمَةِ.

وَهَذَا مَعنَىٰ أَن تَشهَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أَن تُصَدِّقَ تَصدِيقًا جَازِمًا مِن صَمِيمِ القَلبِ، يُوَاطِئُ قَولَ اللِّسَانِ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، إِنسِهِم وَجِنِّهِم، وَأَنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَرسَلَهُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا،

Scanned by CamScanner

وَدَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

وَعَلَيهِ: فَيَجِبُ تَصدِيقُهُ: فِي جَمِيعِ مَا أَخبَرَ بِهِ مِن أَنبَاءِ مَا قَد سَبَقَ، وَأَخبَارِ مَا سَيَأتِي، مِنَ الغُيُوبِ المَاضِيَةِ وَالغُيُوبِ المُستَقبَلَةِ.

وَفِيمَا أَحَلَّ مِن حَلَالٍ، وَحَرَّمَ مِن حَرَامٍ، مَعَ الِامتِثَالِ، وَالانقِيَادِ لِمَا أَمَرَ بِهِ، وَالكَفِّ وَالانتِهَاءِ عَمَّا نَهَىٰ عَنهُ، وَمَعَ اتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ، وَالتِزَامِ سُنَّتِهِ، فِي السِّرِّ وَالجَهرِ، مَعَ الرِّضَا بِمَا قَضَاهُ، وَالتَّسلِيمِ بِهِ.

وَأَن يُصَدِّقَ المَرءُ مُعتَقِدًا أَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ هِيَ طَاعَةُ اللهِ، وَأَنَّ مَعصِيَةَ الرَّسُولِ ﷺ مَعصِيَةُ اللهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ رِسَالَتَهُ.

وَمَعنَىٰ أَن تَشهَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهُ أَيضًا:

أَن تَعتَقِدَ اعتِقَادًا جَازِمًا مِن صَمِيمِ القَلبِ، أَنَّ اللهَ لَم يَتَوَفَّ النَّبِيَّ ﷺ حَتَّىٰ أَكمَلَ بِهِ الدِّينَ، وَحَتَّىٰ بَلَّغَ البَلَاغَ المُبِينَ، وَتَرَكَ الأُمَّةَ عَلَىٰ المَحَجَّةِ البَيضَاءِ، لَيلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنهَا بَعدَهُ إِلَّا هَالِكٌ.

إِذَا تَأَمَّلَ المَرءُ فِي مَعنَىٰ الشَّهَادَةِ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا حَصَّلَ مِن ذَلِكَ اعتِقَادًا وَعَمَلًا؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ عَلَىٰ رَأسِ طَرِيقِهِ، فَمُحَقِّقٌ وَمُتَخَلِّفٌ، فَسَابِقٌ لَا يُمكِنُ أَن يُلحَقَ، وَلَاحِقٌ، لَا يُمكِنُ أَن يَسبِقَ.

التَّأَمُّلُ فِي مَعنَىٰ الشَّهَادَةِ، مِنَ الأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَغفُلُ عَنهَا كَثِيرٌ مِنَ الخَلقِ؛ بَل يَعمَىٰ عَنهَا كَثِيرٌ مِنهُم، فَيَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَهُوَ لَا يَدرِي مَعنَىٰ مَا يَشهَدُ بِهِ.

Scanned by CamScanner

وَلَقَد كَانَ المُنَافِقُونَ يَعلَمُونَ المَعنَىٰ، مَعنَىٰ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَلِذَلِكَ لَمَّا نَطَقُوا بِهَا بِاللِّسَانِ، وَأَنكَرُوهَا بِالجَنَانِ، كَذَّبَهُم رَبُّنَا الرَّحِيمُ الرَّحمَنُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَابُدَّ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ، وَبِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَنَبِيُّهُ ﷺ.

وَمَعنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ أَيضًا:

طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصدِيقُهُ فِيمَا أَخبَرَ، وَاجتِنَابُ مَا عَنهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَالشَّهَادَةُ بِأَنَّهُ ﷺ رَسُولُ اللهِ، لَهَا مَعنًىٰ وَمُقتَضًىٰ، فَلَيسَت لَفظًا يُقَالُ فَقَط.

مَعنَاهَا: أَن تَعتَرِفَ بِلِسَانِكَ وَبِقَلبِكَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، تَنطِقُ بِلِسَانِكَ وَتَعتَقِدُ بِقَلبِكَ، أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَأَمَّا التَّلَفُّظُ بِاللِّسَانِ، وَالإِنكَارُ بِالقَلبِ فَهَذِهِ طَرِيقَةُ المُنَافِقِينَ، كَمَا أَخبَرَنَا اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عَنهُم بِقَولِهِ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾؛ أَي: جَعَلُوا أَيمَانَهُم، وَشَهَادَتَهُم سِترًا وَوِقَايَةً يَستَتِرُونَ بِهَا، وَيَتَّقُونَ: ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:١٦].

فَدَلَّت الآيَاتُ عَلَىٰ أَنَّ النُّطقَ بِاللِّسَانِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ لَا يَكفِي.

كَذَلِكَ اعتِقَادُ القَلبِ مَعَ عَدَمِ النُّطقِ بِاللِّسَانِ -لِمَن يَقدِرُ عَلَىٰ النُّطقِ- هَذَا أَيضًا لَا يَكفِي.

فَالمُشرِكُونَ كَانُوا يَعلَمُونَ بِقُلُوبِهِم أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ أَبُو جَهل كَانَ

عَلَىٰ يَقِينٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ مِن دَعوَىٰ الرِّسَالَةِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا كَانَ لِيَدَعَ الكَذِبَ عَلَىٰ النَّاسِ وَيَكذِبَ عَلَىٰ رَبِّ النَّاسِ، فَكَانَ مُقِرًّا وَمُعتَقِدًا فِي قَلبِهِ مَعَ التَّكذِيبِ بِلِسَانِهِ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣].

بَل كَانَ اليَهُودُ، كَمَا أَخبَرَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عَن عُلَمَائِهِم، كَانُوا يَعرِفُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ الرَّسُولُ المَبعُوثُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ﷺ.

بَل أَخبَرَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَنَّهُم يَعرِفُونَهُ مَعرِفَةَ تَحقِيقٍ وَيَقِينٍ، يَعرِفُونَ النَّبِيَّ ﷺ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءَهُم، فَإِنَّ الإِنسَانَ يَعرَفُ ابنَهُ، وَلَوِ اختَلَطَ بِجَمِيعِ فِتيَانِ أَو صِبيَانِ الأَرضِ، وَيَستَطِيعُ أَن يَستَخرِجَ مِن هَؤُلَاءِ جَمِيعًا وَلَدَهُ.

فَهَؤُلَاءِ اليَهُودُ كَانُوا يَعرِفُونَ النَّبِيَّ ﷺ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءَهُم، وَهَذِهِ مَعرِفَةُ قَلبٍ وَتَحقِيقٍ؛ وَلَكِن جَحَدُوا بِأَلسِنَتِهِم رِسَالَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَذَّبُوهُ ظَاهِرًا، فَهَؤُلَاءِ بِقُلُوبِهِم يَعرِفُونَ الرِّسَالَةَ، وَيَعرِفُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ؛ وَلَكِن مَنَعَهُمُ عَنِ الإِقرَارِ بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ الحَسَدُ، أَمَّا الكُفَّارُ فَمَنَعَهُمُ الكِبرُ.

شَهَادَةُ «أَن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»، مَعنَاهَا بِاختِصَارٍ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصدِيقُهُ فِيمَا أَخبَرَ، وَاجتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنهُ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

فَهَذِهِ أَربَعَةُ أُمُورٍ:

الأَوَّلُ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَالدَّلِيلُ قَولُ اللهِ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

وَقَولُهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤].

فَقَرَنَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فِي هَذِهِ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ بِطَاعَتِهِ ﷻ، كَمَا قَرَنَ مَعصِيَةَ الرَّسُولِ ﷺ مَعَ مَعصِيَتِهِ -جَلَّ وَعَلَا- فَقَالَ: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور:٥٤].

وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور:٥٦].

فَلَابُدَّ مِن طَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

الَّذِي يَشهَدُ أَنَّهُ ﷺ رَسُولُ اللهِ تَلزَمُهُ طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

﴿يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾: الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَي: عَن أَمرِ الرَّسُولِ ﷺ.

فَلَابُدَّ مِن طَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِيمَا أَمَرَ، فَهَذَا أَوَّلُ مَا تَدُلُّ عَلَيهِ شَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

الأَمرُ الثَّانِي مِنَ الأُمُورِ الأَربَعَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيهَا شَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ:

تَصدِيقُهُ فِيمَا أَخبَرَ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَخبَرَ عَن أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِن أُمُورِ الغَيبِ:

Scanned by CamScanner

- أَخبَرَ عَنِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

- وَأَخبَرَ عَنِ المَلَائِكَةِ.

- وَأَخبَرَ عَنِ الجِنِّ.

- وَأَخبَرَ عَن أُمُورٍ غَائِبَةٍ، وَعَن أُمُورٍ مُستَقبَلَةٍ، عَن قِيامِ السَّاعَةِ، وَعَن أَشرَاطِهَا، وَعَنِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ.

- وَأَخبَرَ عَن أُمُورٍ مَاضِيَةٍ، عَن أَحوَالِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ.

فَلَابُدَّ مِن تَصدِيقِ الرَّسُولِ ﷺ فِيمَا أَخبَرَ؛ لِأَنَّهُ صِدقٌ لَا كَذِبَ فِيهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤].

الرَّسُولُ ﷺ عِندَمَا يَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ الأَخبَارِ، عَن مَاضٍ وَآتٍ، إِنَّمَا يَتَكَلَّمُ ﷺ بِوَحيٍ مِن عِندِ رَبِّهِ.

وَعِندَمَا يَتَكَلَّمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي فَإِنَّمَا هِيَ أَحكَامُ اللهِ -جَلَّ وَعَلَا-، لَا يَتَكَلَّمُ مِن عِندِهِ ﷺ.

فَأَخبَارُهُ كُلُّهَا صِدقٌ، وَمَن لَم يُصَدِّق رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا أَخبَرَ فَلَيسَ بِمُؤمِنٍ، وَلَا هُوَ صَادِقٌ فِي شَهَادَتِهِ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ.

وَقَالَ عَمرُو بنُ هِشَامٍ -وَهُوَ أَبُو جَهلٍ- فِي هَذَا الأَمرِ، عِندَمَا رُوجِعَ فِيهِ، وَأُقِرَّ بِهِ، فَقَد أَقَرَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُرسَلٌ مِنَ اللهِ حَقًّا؛ بَل أَتَىٰ بِحُجَّةٍ عَقلِيَّةٍ عَلَىٰ صِدقِهِ، فَقَالَ: «مَا كَانَ لِيَدَعَ الكَذِبَ عَلَىٰ النَّاسِ، وَيَكذِبَ عَلَىٰ رَبِّ النَّاسِ، وَهَذَا رَجُلٌ كُنَّا نَدعُوهُ قَبلَ أَن يَأتِيَ بِمَا أَتَىٰ بِهِ بِالصَّادِقِ الأَمِينِ».

Scanned by CamScanner

فَمَا العِلَّةُ فِي التَّكذِيبِ إِذَن؟!

قَالَ: «كُنَّا نَحنُ وَبَنُو هَاشِمٍ مُتَسَاوِينَ فِي كُلِّ الأُمُورِ، أَعطَوا فَأَعطَينَا، وَتَصَدَّقُوا فَتَصَدَّقنَا، وَأَطعَمُوا فَأَطعَمنَا، حَتَّىٰ إِذَا تَحاذَتِ الرُّكَبُ -يَعنِي: كَأَنَّهُم فِي سِبَاقٍ- حَتَّىٰ إِذَا تَسَاوَينَا وتَحاذَتِ الرُّكَبُ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأتِيهِ الوَحيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَىٰ نُدرِكُ مِثلَ هَذِهِ؟!»[1].

فَكَذَّبَ حَسَدًا وَكِبرًا، وَلَم يُطِع رَسُولَ اللهِ ﷺ.

وَلَقَد قَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي قَصِيدَتِهِ المَشهُورَةِ، فِي مَدحِ النَّبِيِّ ﷺ:

وَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِن خَيرِ أَديَانِ البَرِيَّةِ دِينَا

لَولَا المَلَامَةُ أَو حَذَارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدتَنِي سَمحًا بِذَاكَ مُبِينَا[2]

وَلَكِنَّهُ يَخشَىٰ أَن يُقَالَ: «صَبَأَ وَتَرَكَ دِينَ عَبدِ المُطَّلِبِ».

حَتَّىٰ إِنَّهُ فِي سِيَاقَةِ المَوتِ مَنَعَهُ هَذَا مِنَ الإِقرَارِ بِـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لَهُ: «يَا عَمِّ. قُل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ! كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِندَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ». فَيَقُولُ لَهُ أَبُو جَهلٍ، وَعَبدُ اللهِ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرغَبُ عَن مِلَّةِ عَبدِ المُطَّلِبِ؟! فَأَبَىٰ أَن يَقُولَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وَقَالَ: هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبدِ المُطَّلِبِ،

---

(١) أَخرَجَهُ ابنُ إِسحَاقَ فِي «السِّيرَةِ» (ص٢١٠)، وابنُ أَبِي شَيبَةَ فِي «المُصَنَّفِ» (٣٥٨٢٩) (ط/ الرُّشدِ)، وَالبَيهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (٢/ ٢٠٧)، مِن طَرِيقِ هِشَامِ بنِ سَعدٍ، عَن زَيدِ بنِ أَسلَمَ قَالَ: قَالَ المُغِيرَةُ بنُ شُعبَةَ:... فَذَكَرَهُ.

(٢) «إِعَانَةُ المُستَفِيدِ بِشَرحِ كِتَابِ التَّوحِيدِ» لِلشَّيخِ صَالِحِ الفَوزَانِ (١/ ٢٦١، ط الرِّسَالَةِ).

Scanned by CamScanner

فمات على ذلك، ومنعه هذا الأمر عن الإقرار للنبي ﷺ بما طلب منه[1].

يعترف بقلبه برسالة الرسول ﷺ، وتمنعه الحمية الجاهلية لقومه، من أن يصدق بذلك ظاهرًا.

هو لم يكفر بدين عبد المطلب، الذي هو عبادة الأصنام، ويعترف في الوقت نفسه بنبوة النبي ﷺ بقلبه، فلم ينفعه ذلك، فانتبه!

فلابد من الاعتراف بالقلب، ومواطأة القلب للسان في الشهادة، بأنه ﷺ رسول الله، ولا يكفي النطق باللسان والاعتراف بالقلب، وإنما ينبغي أن يضم إلى ذلك ثالثًا وهو الاتباع، قال الله -جل وعلا-: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

حتى لو نصره؛ مثل أبي طالب، وحامى دونه، وهو يعرف أنه رسول الله؛ ولكن لم يتبعه، فإنه ليس بمسلم حتى يتبعه حق الاتباع.

ولهذا قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب: «معنى شهادة أن محمدًا رسول الله؛ طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع»[2].

فلابد من الاعتراف برسالته ظاهرًا وباطنًا واعتقاده، ولابد من اتباعه ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢، ٦٦٨١)، ومسلم (٢٤)، من طريق سعيد ابن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة... الحديث.

(٢) «ثلاثة الأصول - الدرر السنية» (١/ ١٣٠).

Scanned by CamScanner

كَيفَ يَشهَدُ أَنَّهُ ﷺ رَسُولُ اللهِ، وَيُكَذِّبُهُ فِي أَخبَارِهِ؟!

كَيفَ يَشهَدُ أَنَّهُ ﷺ رَسُولُ اللهِ، وَيَرُدُّ عَلَيهِ أَمرَهُ وَنَهيَهُ؟!

وَكَيفَ يَشهَدُ أَنَّهُ ﷺ رَسُولُ اللهِ، وَيَرُدُّ عَلَيهِ أَمرَهُ وَنَهيَهُ؟!

وَالقَاعِدَةُ الَّتِي يَسِيرُ عَلَيهَا المُؤمِنُ فِي هَذَا هِيَ: أَنَّهُ لَابُدَّ مِنَ التَّصدِيقِ مَتَىٰ ثَبَتَ النَّصُّ، فَإِعمَالُ العَقلِ فَالنَّبِيُّ ﷺ يُخبِرُ عَن أُمُورٍ مِن أُمُورِ الغَيبِ كَانَت، إِنَّمَا هُوَ فِي إِثبَاتِ النَّصِّ، يَجُولُ العَقلُ مَا يَجُولُ لِلبَحثِ فِي السَّنَدِ وَفِي المَتنِ، عَلَىٰ قَوَاعِدِ أَهلِ الحَدِيثِ مِن أَجلِ إِثبَاتِ النَّصِّ، فَإِذَا ثَبَتَ النَّصُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَابُدَّ مِنَ التَّسلِيمِ.

«إِذَا كُنتَ نَاقِلًا فَالصِّحَّةَ، أَو مُدَّعِيًا فَالدَّلِيلَ»: هَذَا قَانُونُ المُسلِمِينَ مِن عُلَمَائِنَا -رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِم-، وَبِهِ وَعَلَيهِ قَامَت حَضَارَةُ المُسلِمِينَ السَّامِقَةُ، نَسأَلُ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَن يُعِيدَ مَجدَهَا زَاهِرًا، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

إِذَا كُنتَ نَاقِلًا فَالصِّحَّةَ؛ يَعنِي: إِذَا كَانَ الأَمرُ يَعُودُ إِلَىٰ الأَخبَارِ نُطَالِبُكَ بِصِحَّةِ النَّقلِ، وَإِن كَانَ الأَمرُ يَعُودُ إِلَىٰ العَقلِيَّاتِ نُطَالِبُكَ بِإِقَامَةِ الدَّلِيلِ الحَقِّ.

فَإِن كُنتَ نَاقِلًا فَالصِّحَّةَ، أَو مُدَّعِيًا فَالدَّلِيلَ، هَذَا قَانُونُ عُلَمَاءِ المُسلِمِينَ.

فَإِذَا مَا صَحَّ النَّقلُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَابُدَّ مِنَ التَّصدِيقِ بِمَا صَحَّ عَنهُ ﷺ وَثَبَتَ، وَقَد دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ الحَدِيثُ الَّذِي أَخرَجَهُ الحَاكِمُ فِي «المُستَدرَكِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ ثَابِتٌ صَحِيحٌ، عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ اللهَ -جَلَّ وَعَلَا- لَمَّا أَسرَىٰ بِنَبِيِّهِ ﷺ مِنَ المَسجِدِ الحَرَامِ إِلَىٰ المَسجِدِ الأَقصَىٰ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ فِرَاشِهِ وَلَمَّا يَزَل دَافِئًا بَعدُ، أَصبَحَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِذَلِكَ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ استَغرَبُوهُ جِدًّا، فَمِنهُم مَن يَضرِبُ كَفًّا بِكَفٍّ، وَمِنهُم مَن يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ رَأسِهِ.

Scanned by CamScanner

قَالَت: وَبَعضُ النَّاسِ قَد تَرَكَ الدِّينَ -كَانَ مُقبِلًا فَأَدبَرَ- لَم يُصَدِّق رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا أَخبَرَ، وَكَانَ أَبُو بَكرٍ غَائِبًا فَتَلَقَّتهُ قُرَيشٌ بِظَاهِرِ مَكَّةَ.

وَقَالُوا: أَلَم تَسمَع مَا قَالَ صَاحِبُكَ مُنذُ اليَومِ، قَالَ: وَمَا قَالَ؟

فَقَصُّوا عَلَيهِ مَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ.

فَقَالَ مُستَوثِقًا -وَهَذِهِ هِيَ الخُطوَةُ الأُولَىٰ، لَابُدَّ أَوَّلًا مِن أَن نَتَوَثَّقَ مِن ثُبُوتِ النَّصِّ-: أَنتُم تَكذِبُونَ عَلَيهِ.

قَالُوا: بَل قَالَ.

فَلَمَّا رَاجَعُوهُ مُؤَكِّدِينَ أَنَّهُ قَالَ، فَقَالَ: إِن كَانَ قَالَ فَقَد صَدَقَ[1].

إِذَن، وُقُوفُنَا لَا يَكُونُ مَعَ النَّصِّ تَصدِيقًا، وَإِنَّمَا إِثبَاتًا، فَإِذَا ثَبَتَ النَّصُّ، فَلَا كَلَامَ، هُوَ كَلَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

إِن كَانَ قَالَ فَقَد صَدَقَ، لَا كَلَامَ، ثُمَّ قَالَ لَهُم: إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبلَغُ مِن هَذَا وَأَبعَدُ، إِنَّه لَيُخبِرُنِي بِالأَمرِ يَأتِيهِ مِن أَمرِ الوَحيِ، مِن فَوقِ سَبعَةِ أَرقِعَةٍ -فِي مَعنَىٰ مَا قَالَ- وَإِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِي ذَلِكَ، فَكَيفَ لَا أُصَدِّقُهُ فِيمَا تَقُولُونَ؟!

---

(١) أَخرَجَهُ الحَاكِمُ فِي «المُستَدرَكِ» (٤٤٠٧، ٤٤٥٨)، وَاللَّالَكَائِيُّ فِي «أُصُولِ الِاعتِقَادِ» (٤/ ٨٥٢، رَقَم ١٤٣٠)، وَابنُ بِشرَانَ فِي «الأَمَالِي» (ص ٢٤٤، رَقَم ٥٥٨، ط الوَطَنِ)، وَأَبُو نُعَيمٍ فِي «مَعرِفَةِ الصَحَابَةِ» (٦٩)، وَالبَيهَقِيُّ فِي «الدَلَائِلِ» (٢/ ٣٦٠)، وَابنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشقَ» (٣٠/ ٥٥)، مِن طَرِيقِ: مُحَمَّدِ بن كَثِيرٍ الصَّنعَانِيِّ، عَن مَعمَرِ بنِ رَاشِدٍ، عَنِ الزُّهرِيِّ، عَن عُروَةَ، عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت:... الحَدِيثَ.

وَصَحَّحَهُ بِشَوَاهِدِهِ الأَلبَانِيُّ فِي «الصَحِيحَةِ» (٣٠٦).

Scanned by CamScanner

فَلَابُدَّ مِن تَصدِيقِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا أَخبَرَ بِهِ، لَا يَتَوَقَّفُ العَقلُ فِي ذَلِكَ، مَتَىٰ ثَبَتَ النَّصُّ فَلَا كَلَامَ مَعَ النَّصِّ.

إِذَن، هَذَا مِمَّا يَنبَغِي أَن يُرَاعِيَهُ المُؤمِنُ، فِي مَعنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، تَصدِيقُهُ فِيمَا أَخبَرَ.

وَكَانَ ﷺ يَومًا يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَأَخبَرَهُم ﷺ عَن بَقَرَةٍ تَتَكَلَّمُ.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! بَقَرَةٌ تَتَكَلَّمُ؟!

قَالَ: **إِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ** -وَلَم يَكُونَا حَاضِرَينِ، وَإِنَّمَا كَانَا غَائِبِينَ»[(١)].

وَمَعَ ذَلِكَ؛ لِعِلمِ النَّبِيِّ ﷺ بِإِيمَانِهِمَا، أَخبَرَ عَنهُمَا، وَلَم يَكُونَا حَاضِرَينِ.

وَأَخبَرَ عَن ذِئبٍ يَتَكَلَّمُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَ ذِئبٌ يَتَكَلَّمُ؟!

قَالَ: **إِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ** -وَلَم يَكُونَا ثَمَّ رضي الله عنهما -».

وَلِذَلِكَ، أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبِيِّهَا ﷺ: أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رضي الله عنهم، إِلَىٰ آخِرِ مَا هُوَ مَعلُومٌ فِي أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

الثَّالِثُ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي مِن مَعَانِي شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ:

اجتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنهُ وَزَجَرَ، وَمَعنَىٰ هَذَا:

أَن يَجتَنِبَ الإِنسَانُ مَا نَهَىٰ عَنهُ الرَّسُولُ ﷺ؛ لَقَد نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَن أَقوَالٍ

---

(١) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٣٢٤، ٣٤٧١، ٣٦٦٣)، وَمُسلِمٌ (٢٣٨٨)، مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه.

Scanned by CamScanner

وَأَفعَالٍ، وَصِفَاتٍ كَثِيرَةٍ.

وَلَا يَنهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا عَن شَيءٍ فِيهِ ضَرَرٌ وَشَرٌّ، وَلَا يَأمُرُ ﷺ إِلَّا بِمَا فِيهِ خَيرٌ وَبِرٌّ.

فَإِذَا لَم يَجتَنِبِ العَبدُ مَا نَهَىٰ عَنهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَم يَكُن شَاهِدًا لَهُ بِالرِّسَالَةِ؛ بَل يَكُونُ مُتَنَاقِضًا.

إِذ كَيفَ يَشهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَلَا يَجتَنِبُ مَا نَهَاهُ عَنهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟!

هَذَا تَنَاقُضٌ، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر:٧].

وَقَد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَينِ» مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: «**إِذَا نَهَيتُكُم عَن شَيءٍ فَاجتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرتُكُم بِأَمرٍ فَأتُوا مِنهُ مَا استَطَعتُم**»(١).

فَمَا نَهَىٰ عَنهُ النَّبِيُّ ﷺ يَنبَغِي اجتِنَابُهُ، أَن يُجتَنَبَ كُلُّهُ؛ أَن تَجتَنِبَ كُلَّ مَا نَهَاكَ عَنهُ الرَّسُولُ ﷺ، لَيسَ لَكَ فِي هَذَا مِن خِيارٍ، وَلَا عُذرٍ.

وَأَمَّا الأَمرُ فَتَأتِي بِمَا استَطَعتَ؛ لِأَنَّ الكَفَّ أَسهَلُ مِنَ الفِعلِ، أَن تَكُفَّ عَنِ الشَّيءِ، وَهَذَا هُوَ مَعنَىٰ الِانتِهَاءِ عَنهُ، هَذَا أَيسَرُ عَلَيكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُكَلِّفُكَ كَثِيرًا؛ بَل رُبَّمَا لَا يُكَلِّفُكَ شَيئًا.

وَأَمَّا الإِقدَامُ عَلَىٰ الأُمُورِ الَّتِي كَلَّفَنَا اللَّهُ تَعَالَىٰ بِهَا، فَهَذِهِ تَحتَاجُ مَجهُودًا؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «**وَإِذَا أَمَرتُكُم بِأَمرٍ؛ فَأتُوا مِنهُ مَا استَطَعتُم**».

---

(١) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٧٢٨٨)، وَمُسلِمٌ (١٣٣٧)، مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه.

وَأَمَّا النَّهيُ فَلَيسَ مُقَيَّدًا بِالاستِطَاعَةِ، الأَمرُ مُقَيَّدٌ بِالاستِطَاعَةِ، فَقَيَّدَ ذَلِكَ بِالاستِطَاعَةِ،

«وَإِذَا نَهَيتُكُم عَن شَيءٍ فَاجتَنِبُوهُ» فَلَا عُذرَ لَكَ.

فَإِذَن: لَا يَكُونُ المَرءُ مُحَقِّقًا مَعنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ حَتَّىٰ يَجتَنِبَ بِشَيءٍ: مَا نَهَىٰ عَنهُ وَزَجَرَ.

وَأَمَّا الأَمرُ الرَّابِعُ: فَأَلَّا يُعبَدَ اللهُ، إِلَّا بِمَا شَرَعَ:

العِبَادَاتُ -كَمَا هُوَ مَعلُومٌ- تَوقِيفِيَّةٌ، لَا يُمكِنُ أَحَدًا أَن يَأتِيَ بِعِبَادَةٍ لَم يَشرَعهَا الرَّسُولُ ﷺ، وَإِن كَانَ قَصدُهُ حَسَنًا، وَإِن كَانَ يُرِيدُ الأَجرَ، فَهَذَا أَيضًا مِمَّا لَا يُقبَلُ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لَم يُرِدنَا مُطلَقَ عَابِدِينَ، فَيَعبُدُ كُلٌّ مِنَّا رَبَّهُ كَمَا يَتَرَاءَىٰ لَهُ، وَبِمَا يَحلُو لَهُ، وَبِمَا يُزَيِّنُهُ لَهُ هَوَاهُ.

وَإِنَّمَا أَرَادَنَا اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عَابِدِينَ عَلَىٰ صِفَةٍ حَدَّدَهَا، وَقَيَّدَهَا، فَإِذَا اختَرَعنَا نَحنُ عِبَادَةً لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- نَكُونَ قَدِ افتَتَنَّا عَلَىٰ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَهُوَ لَم يُرِد مِنَّا أَن نَعبُدَهُ بِأَهوَائِنَا وَلَا بِعُقُولِنَا، وَإِنَّمَا أَرَادَنَا عَابِدِينَ لَهُ عَلَىٰ النَّحوِ الَّذِي طَلَبَهُ مِنَّا ﷻ.

فَالعِبَادَةُ تَوقِيفِيَّةٌ يُتَوَقَّفُ فِيهَا عِندَ حُدُودِ الوَارِدِ، وَمَهمَا أَتَىٰ الإِنسَانُ بِشَيءٍ يَعُدُّهُ عِبَادَةً فَلَيسَ بِعِبَادَةٍ فِي حَقِيقَةِ الأَمرِ؛ لِأَنَّ العِبَادَةَ -كَمَا مَرَّ فِي تَعرِيفِهَا-: «كُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرضَاهُ مِنَ الأَقوَالِ وَالأَعمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ».

وَاللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لَا يُحِبُّ البِدعَةَ؛ بَل يُبغِضُهَا اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَالبِدعَةُ أَحَبُّ إِلَىٰ إِبلِيسَ مِنَ المَعصِيَةِ.

Scanned by CamScanner

فَإِذَن، لَابُدَّ مِن عِبَادَةِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِمَا شَرَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكُلُّ مَن عَبَدَ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِمَا لَم يَشرَعهُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ فَعَمَلُهُ بَاطِلٌ: «مَن أَحدَثَ فِي أَمرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١)؛ أَي: فَهُوَ مَردُودٌ عَلَيهِ.

مَن عَمِلَ فِي دِينِنَا هَذَا عَمَلًا وَأَحدَثَهُ؛ يَعنِي: أَتَىٰ بِهَذَا العَمَلِ مِن عِندِ نَفسِهِ، فَهُوَ رَدٌّ؛ لِأَنَّهُ لَم يَأتِ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

وَالنِّيَّةُ وَحدَهَا لَا تَكفِي، لَابُدَّ مِنَ الِاتِّبَاعِ؛ لِأَنَّ العَمَلَ لَا يُقبَلُ عِندَ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- حَتَّىٰ يَكُونَ خَالِصًا وَصَوَابًا.

الخَالِصُ: لِلَّهِ.

الصَّوَابُ: مَا كَانَ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَلِذَلِكَ نَذكُرُ مَا قَالَهُ سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ رَحِمَهُ اللهُ؛ لَمَّا رَأَىٰ رَجُلًا يُصَلِّي بَعدَ صَلَاةِ الصُّبحِ، وَلَا صَلَاةَ فِي ذَلِكَ الوَقتِ، فَنَهَاهُ.

فَقَالَ لَهُ: أَيُعَذِّبُنِي اللهُ عَلَىٰ الصَّلَاةِ؟!

قَالَ: لَا، لَا يُعَذِّبُكَ اللهُ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، وَإِنَّمَا يُعَذِّبُكَ عَلَىٰ مُخَالَفَةِ السُّنَّةِ(٢).

---

(١) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٦٩٧)، وَمُسلِمٌ (١٧١٨)، مِن حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(٢) أَخرَجَ عَبدُ الرَّزَّاقِ فِي «المُصَنَّفِ» (٣/ ٥٢)، وَالبَيهَقِيُّ فِي: «السُّنَنِ الكُبرَىٰ» (٢/ ٤٦٦)، وَالخَطِيبُ البَغدَادِيُّ فِي: «الفَقِيهِ وَالمُتَفَقِّهِ» (١/ ١٤٧): أَنَّ سَعِيدَ بنَ المُسَيِّبِ رَأَىٰ رَجُلًا يُكَرِّرُ الرُّكُوعَ بَعدَ طُلُوعِ الفَجرِ فَنَهَاهُ.

فَقَالَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَيُعَذِّبُنِي اللهُ عَلَىٰ الصَّلَاةِ؟!

=

Scanned by CamScanner

فَاللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لَا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا، وَأُرِيدَ بِهِ وَجْهُ
وَكَانَ عَلَىٰ وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

العِبَادَاتُ تَوْقِيفِيَّةٌ، لَا يَجُوزُ الإِتْيَانُ بِعِبَادَاتٍ لَمْ يَشْرَعْهَا اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ
رَسُولِهِ ﷺ، «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[1].

«عَلَيْكُم بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِن بَعْدِي، تَمَسَّكُوا
بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ،
وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». كَمَا فِي الحَدِيثِ العَظِيمِ الَّذِي رَوَاهُ العِرْبَاضُ ابنُ سَارِيَةَ
وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابنُ مَاجَه وَغَيْرُهُم، وَهُوَ حَدِيثٌ ثَابِتٌ
صَحِيحٌ[2].

=
قَالَ: لَا، وَلَكِن يُعَذِّبُكَ عَلَىٰ خِلَافِ السُّنَّةِ».
وَمَن أَرَادَ المَزِيدَ مِنَ النُّصُوصِ وَالآثَارِ فِي ذَمِّ البِدَعِ، فَلْيَنْظُر: «دِرَاسَاتٌ فِي البِدعَةِ وَالمُبْتَدِعِ»
لِأَبِي عَبدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ سَعِيدٍ رَسلَان (ص٤٩-٥٩).

(١) أَخْرَجَهُ مُسلِمٌ (١٧١٨)، مِن حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَذَكَرَهُ البُخَارِيُّ مُعَلَّقًا فِي «صَحِيحِهِ»
(كِتَابُ: الِاعتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ: إِذَا اجتَهَدَ العَامِلُ أَوِ الحَاكِمُ، فَأَخطَأَ خِلَافَ الرُّسُولِ
مِن غَيرِ عِلمٍ، فَحُكمُهُ مَردُودٌ).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرمِذِيُّ (٢٦٧٦)، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَابنُ مَاجَه (٤٣)، وَأَحمَد
(١٧١٤٢، ١٧١٤٤)، مِن طَرِيقِ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَمرٍو السُّلَمِيِّ.
وَأَخرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٦٠٧)، وَأَحمَدُ (١٧١٤٥)، مِن طَرِيقِ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَمرٍو السُّلَمِيِّ
وَحُجرِ بنِ حُجرٍ. وَأَخرَجَهُ أَحمَدُ (١٧١٤٦، ١٧١٤٧)، مِن طَرِيقِ: ابنِ أَبِي بِلَالٍ.
جَمِيعُهُم: عَنِ العِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:... الحَدِيثَ.
وَصَحَّحَهُ الأَلبَانِيُّ فِي «الإِرْوَاءِ» (٢٤٥٥).

Scanned by CamScanner

فَالإِتيَانُ بِعِبَادَةٍ لَم يَشرَعهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِدعَةٌ مُنكَرَةٌ، نَهَى الشَّرعُ عَنهَا، وَإِن قَالَ بِهَا مَن قَالَ، وَإِن فَعَلَهَا مَن فَعَلَهَا مِنَ النَّاسِ، مَادَامَت خَارِجَةً عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَهِيَ مَردُودَةٌ، وَهِيَ بِدعَةٌ وَضَلَالَةٌ.

لَا يُعبَدُ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَالمُحدَثَاتُ وَالخُرَافَاتُ كُلُّهَا عَمَلٌ بَاطِلٌ وَنَقصٌ وَضَلَالٌ عَلَىٰ مَن أَتَىٰ بِهَا، وَإِن كَانَ يَقصِدُ بِهَا الخَيرَ وَيُرِيدُ الأَجرَ.

فَإِنَّ العِبرَةَ لَيسَت بِالمَقَاصِدِ وَحدَهَا وَإِنَّمَا العِبرَةُ بِالاتِّبَاعِ، وَالطَّاعَةِ وَالانقِيَادِ، مَعَ خُلُوصِ النِّيَّةِ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فَلَابُدَّ مِنَ الأَمرَينِ مَعًا.

لَو كُنَّا مُطلَقِينَ أَحرَارًا نَأتِي بِمَا نَشَاءُ، وَنَستَحدِثُ مِنَ العِبَادَاتِ مَا نَشَاءُ، مَا احتَجنَا إِلَىٰ بِعثَةِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِأَنَّنَا نَكُونُ حِينَئِذٍ مُشَرِّعِينَ أَيضًا، شَرَعنَا لِأَنفُسِنَا عِبَادَاتٍ لَم يَأذَن بِهَا اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

مِن رَحمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِنَا أَنَّهُ لَم يَكِلنَا إِلَىٰ عُقُولِنَا، وَلَم يَكِلنَا إِلَىٰ أَحَدٍ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ تُرَدُّ إِلَىٰ الشَّرعِ الأَغَرِّ، إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا يَنفَعُ مِنهَا إِلَّا مَا كَانَ مُوافِقًا لِمَا شَرَعَهُ اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ.

فَفِي هَذَا المَعنَىٰ ابتِعادٌ كَامِلٌ عَن جَمِيعِ البِدَعِ، وَمَنِ ابتَدَعَ شَيئًا فِي الدِّينِ لَم يَأتِ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ لَم يَشهَد حَقًّا وَصِدقًا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

لِأَنَّ مِن مُقتَضَىٰ أَن يَشهَدَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ هُوَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا وَصِدقًا، أَلَّا يَعبُدَ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ الرَّسُولُ ﷺ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-

Scanned by CamScanner

إِنَّمَا أَرسَلَهُ مِن لَدُنهُ بِالشَّرعِ وَبِالوَحيِ المَعصُومِ لِيُبَلِّغَنَا عَنهُ، فَهُوَ مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فَإِذَا نَحنُ لَم نَتَّبِعهُ فَكَأَنَّنَا كَذَّبنَا مَن أَرسَلَهُ.

فَإِذَن، لَا يَكُونُ الرَّجُلُ شَاهِدًا شَهَادَةَ الحَقِّ، أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَتَّىٰ يَعبُدَ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِمَا شَرَعَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَحدَهُ.

وَأَلَّا يُعبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ:

لَا يُحدِثُ فِي الدِّينِ شَيئًا، وَلَا يَتَّبِعُ شَيئًا أَحدَثَهُ مَن سَبَقَ، وَإِنَّمَا يَسِيرُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الوَحيِ المَعصُومِ.

فَهَذَا مَعنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَمِنهُ تَعلَمُ أَنَّهَا لَيسَت مُجَرَّدَ أَلفَاظٍ تُقَالُ بِاللِّسَانِ -أَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ- فَقَط.

فَقَد كَانَ المُنَافِقُونَ يَقُولُونَ ذَلِكَ، وَكَذَّبَهُمُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَشَهِدَ عَلَيهِم بِالكَذِبِ، بِالكَذِبِ فِيمَا تُقِرَّ قُلُوبُهُم وَتَعتَقِدُ، لَا فِيمَا تَنطِقُ بِهِ أَلسِنَتُهُم؛ لِأَنَّهُم جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: نَشهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ؛ وَلَكِن هُم لَا يَعتَقِدُونَ ذَلِكَ بِقُلُوبِهِم.

فَكَذَّبَهُمُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فِي دَعوَىٰ الشَّهَادَةِ، لَا فِي حَقِيقَةِ مَا دَلَّت عَلَيهِ الأَلفَاظُ، وَلِذَلِكَ شَهِدَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَنَّ الرَّسُولَ رَسُولُهُ ﷺ، وَشَهِدَ عَلَىٰ المُنَافِقِينَ بِالكَذِبِ.

بِالكَذِبِ فِي أَيِّ شَيءٍ؟

فِي دَعوَىٰ الشَّهَادَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

هُم لَا يَشهَدُونَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَهُ قَولًا مُجَرَّدًا بِأَلسِنَتِهِم مِن غَيرِ أَن يَكُونَ لَهُ رَصِيدٌ مِنَ الِاعتِقَادِ فِي قُلُوبِهِم، وَمِنهُ تَعلَمُ أَنَّهُ لَا يَكفِي أَن يَنطِقَ المَرءُ بِـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» حَتَّىٰ يَكُونَ مُؤمِنًا مَقبُولًا عِندَ اللهِ؛ بَل قَد يَقُولُ ذَلِكَ المُنَافِقُ، كَمَا مَرَّ فِي الآيَةِ.

فَنَسأَلُ اللهَ أَن يَرزُقَنَا حَقِيقَةَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

س (٣٠): مَا شُرُوطُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ وَهَل تُقبَلُ الشَّهَادَةُ الأُولَىٰ بِدُونِهَا؟

ج: قَد قَدَّمنَا لَكَ أَنَّ العَبدَ لَا يَدخُلُ فِي الدِّينِ إِلَّا بِهَاتَينِ الشَّهَادَتَينِ وَأَنَّهُمَا مُتَلَازِمَتَانِ[١]، فَشُرُوطُ الشَّهَادَةِ الأُولَىٰ هِيَ شُرُوطٌ فِي الثَّانِيَةِ، كَمَا أَنَّهَا هِيَ شُرُوطٌ فِي الأُولَىٰ[٢].

الشرح

[١] فَمَن شَهِدَ «أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَكَذَّبَ رَسُولَ اللهِ، فَقَد كَذَّبَ الشَّهَادَةَ الأُولَىٰ، وَمَن شَهِدَ «أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»، وَكَذَّبَ شَهَادَةَ «أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فَقَد كَذَّبَ شَهَادَةَ «أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»، فَهُمَا مُتَلَازِمَتَانِ.

فَلَابُدَّ مِنَ العِلمِ وَاليَقِينِ وَالإِخلَاصِ وَالِانقِيادِ وَالمَحَبَّةِ ... إِلَىٰ آخِرِ مَا مَرَّ ذِكرُهُ مِنَ الشُّرُوطِ الَّتِي تُشتَرَطُ فِي «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، لَابُدَّ أَن نُحَقِّقَها أَيضًا فِي شَهَادَةِ «أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ».

[٢] وَمِن هَذَا البَيَانِ، تَعلَمُ أَنَّ الإِيمَانَ شَيءٌ عَزِيزٌ، وَأَنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لَا يُؤتِيهِ إِلَّا مَن أَحَبَّ، وَأَنَّهُ لَا يُحَصِّلُهُ كُلُّ أَحَدٌ.

وَإِنَّمَا يُحَصِّلُهُ أَهلُ السَّعَادَةِ فِي الدَّارَينِ، نَسأَلُ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَن يَجعَلَنَا مِنهُم.

وَأَمَّا الدَّعَاوَىٰ الفَارِغَةُ الجَوفَاءُ الَّتِي لَيسَ وَرَاءَهَا مِن رَصِيدٍ فَهَذِهِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَأَمَّا الإِيمَانُ الحَقُّ فَشَيءٌ آخَرُ.

نَسأَلُ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَن يَمُنَّ عَلَينَا بِهِ.

فَرَغَ الشَّيخُ مِنَ الرُّكنِ الأَوَّلِ، وَهُوَ شَهَادَةُ «أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»، وَهُوَ الرُّكنُ الأَوَّلُ مِن أَركَانِ الإِسلَامِ عِندَ التَّفصِيلِ.

فَتَعرِيفُ الإِسلامِ بِإِجمَالٍ، هُوَ: الِاستِسلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوحِيدِ، وَالانقِيادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّركِ وَأَهلِهِ.

وَهَذَا يَدخُلُ فِيهِ الدِّينُ كُلُّهُ، فَالإِسلَامُ بِهَذَا المَعنَىٰ يَدخُلُ فِيهِ الإِيمَانُ، وَيَدخُلُ فِيهِ الإِحسَانُ، يَدخُلِ فِيهِ الدِّينُ كُلِّهِ؛ لِأَنَّ الإِسلَامَ عِندَ الإِطلَاقِ يَشمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ كَمَا مَرَّ.

وَأَمَّا تَعرِيفُهُ بِالتَّفصِيلِ، فَهُوَ الأَركَانُ الخَمسَةُ، كَمَا دَلَّت عَلَيهِ النُّصُوصُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: شَهَادَةُ «أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»، وَهَذَا هُوَ الرُّكنُ الأَوَّلُ -وَقَد فَرَغَ الشَّيخُ مِن بَيَانِهِ- وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَومُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ البَيتِ لِمَنِ استَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا.

فَهَذَا تَعرِيفُ الإِسلامِ عِندَ التَّفصِيلِ بِالأَركَانِ الخَمسَةِ.

فَرَغَ مِنَ الرُّكنِ الأَوَّلِ، ثُمَّ شَرَعَ فِي بَيَانِ الرُّكنَينِ اللَّذَينِ بَعدَهُ، وَهُمَا الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ.

Scanned by CamScanner

س (٣١): مَا دَلِيلُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ؟

جـ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البينة:٥] الآيَةَ، وَغَيرُهَا. [١]

الشرح

[١] صَنِيعُ الشَّيخِ فِي الِاستِدلَالِ، وَفِي السُّؤَالِ حَسَنٌ جِدًّا يَدُلُّ عَلَىٰ عَظِيمِ فِقهِهِ رَحِمَهُ اللهُ، وَعَلَىٰ صِحَّةِ اتِّبَاعِهِ.

فَكَمَا لَم يُفَرِّقِ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بَينَ الرُّكنَينِ فِي الذِّكرِ، أَتَىٰ هُوَ بِهِمَا مَجمُوعَينِ فَقَالَ: مَا دَلِيلُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ؟

مَعَ أَنَّ الصَّلَاةَ رُكنٌ، وَالزَّكَاةَ رُكنٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النُّصُوصَ أَتَت بِهِمَا مُقتَرِنَينِ، فَأَتَىٰ هُوَ أَيضًا بِهِمَا كَذَلِكَ عِندَ السُّؤَالِ: مَا دَلِيلُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ؟ ثُمَّ أَتَىٰ بِالنُّصُوصِ مِنَ الكِتَابِ، وَقَد جَاءَ فِيهَا ذِكرُ الصَّلَاةِ، وَذِكرُ الزَّكَاةِ مَعًا.

Scanned by CamScanner

س (٣٢): مَا دَلِيلُ الصَّومِ؟

ج: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [البقرة:١٨٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ [البقرة:١٨٥] الآيَاتِ.

وَفِي حَدِيثِ الأَعرَابِيِّ: أَخبِرنِي مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيَّ مِنَ الصِّيَامِ، فَقَالَ: «شَهرُ رَمَضَانَ إِلَّا أَن تَطَوَّعَ شَيئًا». الحَدِيث(١).

❀❀❀

(١) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٤٦، ١٨٩١، ٢٦٧٨، ٦٩٥٦)، وَمُسلِمٌ (١١) مِن حَدِيثِ طَلحَةَ بنِ عُبَيدِ اللهِ رضي الله عنه.

Scanned by CamScanner

س (٣٣): مَا دَلِيلُ الحَجِّ؟

ج: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَتَبَ عَلَيكُمُ الحَجَّ»(١). الحَدِيثَ فِي الصَّحِيحَينِ.

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ جِبرِيلَ، وَحَدِيثُ: «بُنِيَ الإِسلَامُ عَلَىٰ خَمسٍ»(٢)، وَغَيرُهَا كَثِيرٍ. [١]

الشرح

[١] جَاءَ اللَّفظُ فِي الآيَةِ الأُولَىٰ، فِي الذِّكرِ هَاهُنَا مَفتُوحَ الحَاءِ المُهمَلَةِ(٣)، وَجَاءَ فِي الآيَةِ الثَّانِيَةِ مَكسُورَهُا ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

فَهَل هُنَالِكَ فَرقٌ بَينَهُمَا؟

هَل هُنَالِكَ فَرقٌ بَينَ الحَجِّ وَالحِجِّ؟

(١) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٧٢٨٨)، وَمُسلِمٌ (١٣٣٧)، مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه.

(٢) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٨، ٤٥١٤)، وَمُسلِمٌ (١٦)، مِن حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

(٣) لَيسَ فَوقَهَا وَلَا تَحتَهَا نُقطَةٌ وَلَا أَكثَرُ.

Scanned by CamScanner

الجَوَابُ:

الحَجِّ -بِالفَتحِ-: مَصدَرٌ.

وَالحِجُّ -بِالكَسرِ-: اسمٌ.

وَالمَصدَرُ: مَا دَلَّ عَلَىٰ حَالَةٍ، أَو حَدَثٍ دُونَ زَمَانٍ.

وَالاسمُ: كُلُّ كِلمَةٍ تَدُلُّ عَلَىٰ مَعنًىٰ مُستَقِلٍّ بِالفَهمِ، لَيسَ الزَّمَنُ جُزءًا مِنهُ.

تَدُلُّ عَلَىٰ مَعنًىٰ مُستَقِلٍّ بِالفَهمِ: أَخرَجَ الحَرفَ؛ لِأَنَّ الحَرفَ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَعنًىٰ مُستَقِلٍّ بِالفَهمِ، وَإِنَّمَا يَظهَرُ مَعنَاهُ فِي غَيرِهِ.

لَيسَ الزَّمَنِ جُزءًا مِنهُ: أَخرَجَ الفِعلَ.

لِأَنَّ الفِعلَ؛ يَدُلُّ عَلَىٰ مَعنًىٰ مُستَقِلٍّ بِالفَهمِ وَالزَّمَنُ جِزءٌ مِنهُ، مِن مَاضٍ وَحَاضِرٍ وَمُستَقبَلٍ[1].

---

(١) يُنظَرُ: «شَرحُ ابنِ عَقِيلِ عَلَىٰ أَلفِيَّةِ ابنِ مَالِكٍ» لِابنِ عَقِيلٍ، تَعلِيقُ: مُحَمَّد مُحيِي الدِّينِ عَبدِ الحَمِيدِ (١/ ١٤، وَمَا بَعدَهَا). (ط دَارِ التُّرَاثِ - القَاهِرَةِ- ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

Scanned by CamScanner

س (٣٤): مَا حُكمُ مَن جَحَدَ وَاحِدًا مِنهَا أو أَقَرَّ بِهِ وَاستَكبَرَ عَنهُ؟

جـ: يُقتَلُ كُفرًا؛ كَغَيرِهِ مِنَ المُكَذِّبِينَ وَالمُستَكبِرِينَ؛ مِثلِ إِبلِيسَ وَفِرعَونَ.[١]

الشرح

[١] وَإِن أَقَرَّ بِهِ، وَاستَكبَرَ عَنهُ؛ يَعنِي:

لَو قَالَ مَثَلًا: أَنَا مُقِرٌّ بِأَنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فَرَضَ عَلَينَا صِيامَ رَمَضَانَ، وَلَن أَصُومَ وَمِثلِي لَا يَصُومُ، وَمُقِرٌّ بِأَنَّ الحَجَّ مَفرُوضٌ عَلَيَّ، وَلَكِنِّي لَا أَحُجُّ، وَاستَكبَرَ عَنهُ، فَأَقَرَّ بِهِ وَاستَكبَرَ عَنهُ، لَا يَكُونُ مُسلِمًا، يُقتَلُ كُفرًا كَغَيرِهِ مِنَ المُكَذِّبِينَ وَالمُستَكبِرِينَ كَمِثلِ إِبلِيسَ وَفِرعَونَ.

فَالَّذِينَ أَخرَجُوا العَمَلَ عَن مُسَمَّىٰ الإِيمَانِ، هَؤُلَاءِ مِنَ المُرجِئَةِ، بِلَا خِلَافٍ، وَمُرجِئَةُ الفُقَهَاءِ أَخَّرُوا العَمَلَ؛ فَدَخَلُوا فِي الإِرجَاءِ.

فَلَابُدَّ أَن تُقِرَّ بِقَلبِكَ، وَأَن تَعتَرِفُ بِلِسَانِكَ، وَأَن تَعمَلَ بِأَركَانِكَ، فَلَابُدَّ مِنَ العَمَلِ بِالجَوَارِحِ.

الإِيمَانُ: قَولٌ، وَعَمَلٌ؛ قَولُ القَلبِ، وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنقُصُ بِالمَعصِيَةِ وَيَتَفَاضَلُ أَهلُهُ فِيهِ.

الإِيمَانُ، هُوَ: الإِقرَارُ بِالشَّيءِ عَن تَصدِيقٍ بِهِ، لَيسَ مُطلَقَ التَّصدِيقِ.

وَعَلَيهِ فَالإِيمَانُ يَتَضَمَّنُ مَعنًىٰ زَائِدًا عَلَىٰ مُجَرَّدِ التَّصدِيقِ، وَهُوَ الإِقرَارُ وَالاعتِرَافُ المُستَلزِمُ لِلقَبُولِ لِلأَخبَارِ، وَالإِذعَانِ لِلأَحكَامِ.

Scanned by CamScanner

الإيمانُ نُطقٌ باللِّسانِ، واعتقادٌ بالجنانِ، وعملٌ بالجوارحِ والأركانِ، يَزيدُ بالطَّاعةِ، ويَنقُصُ بالمعصيةِ، ويَتفاضَلُ أهلُهُ فيه.

Scanned by CamScanner

س (٣٥): مَا حُكمُ مَن أَقرَّ بِقوَاعِدِ الإسلامِ الخَمسِ، ثُمَّ تركَهَا لِنوعِ تَكاسُلٍ أو تَأويلٍ؟

ج: أَمَّا الصَّلاةُ فَمَن أَخَّرَهَا عَن وَقتِهَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَإِنَّهُ يُستَتَابُ، فَإِن تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ حَدًّا؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وَحَدِيثِ: «أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ»(١). الحَدِيثَ وَغَيرَهُ[١].

الشرح

[١] أَقَرَّ وَاستَكبَرَ، سِوَىٰ أَقَرَّ وَتَكَاسَلَ أَو أَوَّلَ.

أَمَّا أَقَرَّ وَاستَكبَرَ: فَإِنَّ بَعضَهُم كَانَ يَجِدُ غَضَاضَةً فِي أَن يَسجُدَ لِلَّهِ، وَيَأنَفُ أَن تَرتَفِعَ استُهُ عَلَىٰ رَأسِهِ، وَيَقُولُونَ: كَيفَ نَفعَلُ هَذَا؟

وَيُعَرِّضُونَ بِذَلِكَ -أَنَّهُم يَأنَفُونَ أَن تَرتَفِعَ أَستَاهُهُم عَلَىٰ رُءُوسِهِم؛ يَعنِي: فِي حَالَةِ السُّجُودِ-، فَكَانُوا يَستَكبِرُونَ.

حَتَّىٰ وَإِن أَقَرُّوا بِفَرضِيَّةِ الصَّلاةِ مَعَ هَذَا الاستِكبَارِ فَإِنَّهُم لَا يَكُونُونَ مُسلِمِينَ.

وَأَمَّا إِن أَقَرَّ وَتَكَاسَلَ عَن هَذِهِ الأَركَانِ الأَربَعَةِ الَّتِي مَرَّ ذِكرُهَا فَفِيهَا تَفصِيلٌ.

أَمَّا الصَّلاةُ: فَمَن أَخرَجَهَا عَن وَقتِهَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ، فَإِنَّهُ يُستَتَابُ، فَإِن تَابَ، وَإِلَّا قُتِلَ حَدًّا؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾.

الشَّيخُ بِهَذَا الكَلَامِ، مُرجِئٌ عِندَ الحَدَّادِيَّةِ؛ لِأَنَّهُم يَقُولُونَ: مَن قَالَ: إِنَّ تَارِكَ

(١) تَقَدَّمَ تَخرِيجُهُ (ص٧٦).

Scanned by CamScanner

الصَّلَاةِ تَكَاسُلًا يُقتَلُ حَدًّا؛ فَهُوَ مُرجِئٌ!! مَعَ أَنَّ هَذَا مَا عَلَيهِ جَمَاهِيرُ الأُمَّةِ سَلَفًا وَخَلَفًا، حَتَّىٰ قَالَ الشَّيخُ عَبدُ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي: «حَتَّىٰ كَادَ يَكُونُ إِجمَاعًا»(١).

وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ الحَدَّادِيَّةُ: مَن قَالَ ذَلِكَ؛ فَهُوَ مُرجِئٌ، وَقَد يَكُونُ آتِيًا بِإِرجَاءٍ فَوقَ إِرجَاءٍ، كَمَا يَقُولُ كَبِيرُهُم الذِي عَلَّمَهُمُ الإِفكَ وَالكَذِبَ.

فَهَذَا هُوَ الشَّيخُ حَافِظٌ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ مَا قَالَ العُلَمَاءُ مِن قَبلُ، مِن عُلَمَاءِ السُّنَّةِ وَالحَدِيثِ مِن جَمَاهِيرِ الأُمَّةِ.

مَا الصِّفَةُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيهَا؟

الجَوابُ: مَا ذَكَرَهُ فِي السُّؤَالِ؛ وَهِيَ: تَرَكَهَا لِنَوعِ تَكَاسُلٍ أَو تَأوِيلٍ، فَمَن أَخَّرَهَا عَن وَقتِهَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ تَكَاسُلًا أَو تَأوِيلًا فَإِنَّهُ يُستَتَابُ، فَإِنَّ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ حَدًّا.

الشَّيخُ عِندَ الحَدَّادِيَّةِ مِن عُتَاةِ المُرجِئَةِ، عَلَىٰ تَأوِيلِهِم وَفَهمِهِمُ المُنحَرِفِ، لِمَاذَا؟

لِأَنَّ شَيخَ الإِسلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَتَصَوَّرُ قَطُّ أَن يُقَالَ لِلرَّجُلِ: صَلِّ، وَإِلَّا قَتَلنَاكَ. فَيَقُولُ: لَا أُصَلِّي، حَتَّىٰ يَكُونَ السَّيفُ بِبَارِقَتِهِ عَلَىٰ رَأسِهِ، ثُمَّ يُقتَلُ وَهُوَ يَقُولُ: لَا أُصَلِّي، وَيَكُونُ مَعَ ذَلِكَ فِي قَلبِهِ ذَرَّةٌ مِن إِيمَانٍ.

يَقُولُ شَيخُ الإِسلَامِ: لَا يُمكِنُ أَن يُتَصَوَّرَ أَن يَكُونَ فِي قَلبِهِ مِثقَالُ ذَرَّةٍ مِن

(١) «فَتَاوَىٰ وَرَسَائِلُ سَمَاحَةِ الشَيخِ عَبدِ الرَزَّاق عَفِيفِي» (فَتَاوَىٰ الصَلَاةِ، حُكمُ تَارِكِ الصَّلَاةِ) (١٤ / ١٤١).

Scanned by CamScanner

إيمان، فمثل هذا لا يكون مسلمًا»(١).

واستحسن هذا، واستصحه، وقبله الشيخ الألباني رحمه الله فقال به، قال: «ولكني أقول: إذا قيل له صل وإلا قتلناك، ثم أبى وامتنع، وأبى أن يصلي حتى قتل، فمثل هذا تمنع الطبيعة البشرية أن يكون مسلمًا»(٢).

وهذا حق؛ ولكنه صورة افتراضية افترضها شيخ الإسلام، فلا تلزم العلماء قبله، وإنما قالوا هذا الكلام -وهو كلام مسلم لا غبار عليه-: إن الرجل إذا ترك الصلاة تكاسلًا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل حدًا؛ لأن هنالك فرقًا عظيمًا بين أن

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢١٨): «فيمتنع أن يكون الرجل لا يفعل شيئًا مما أمر به من الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويفعل ما يقدر عليه من المحرمات مثل الصلاة بلا وضوء وإلى غير القبلة، ونكاح الأمهات، وهو مع ذلك مؤمن في الباطن؛ بل لا يفعل ذلك إلا لعدم الإيمان الذي في قلبه».

ثم قال (٧/ ٢١٩): «ولهذا فرض متأخرو الفقهاء مسألة يمتنع وقوعها وهو أن الرجل إذا كان مقرًا بوجوب الصلاة فدعي إليها وامتنع واستتيب ثلاثًا مع تهديده بالقتل فلم يصل حتى قتل هل يموت كافرًا أو فاسقًا؟ على قولين.

وهذا الفرض باطل فإنه يمتنع في الفطرة أن يكون الرجل يعتقد أن الله فرضها عليه، وأنه يعاقبه على تركها ويصبر على القتل ولا يسجد لله سجدة من غير عذر له في ذلك؛ هذا لا يفعله بشر قط، بل ولا يضرب أحد ممن يقر بوجوب الصلاة إلا صلى لا ينتهي الأمر به إلى القتل».

وقال ابن القيم في «الصلاة وأحكام تاركها» (ص ٦٣، مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة): «ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها، ودعي إلى فعلها على رؤوس الملأ، وهو يرى بارقة السيف على رأسه ويشد للقتل وعصبت عيناه، وقيل له تصلي وإلا قتلناك. فيقول: اقتلوني ولا أصلي أبدًا!!».

(٢) «سلسلة الهدى والنور» (شريط ٦٤٢/ دقيقة ٢١: ٢٧).

يُقتَلَ حَدًّا، وَأَن يُقتَلَ رِدَّةً، فَالكَلَامُ غَايَةٌ فِي الدِّقَّةِ.

عِندَمَا يَقُولُ: «وَإِلَّا قُتِلَ حَدًّا»؛ يَعنِي: وَإِلَّا قُتِلَ مُسلِمًا، يُحكَمُ لَهُ بِظَاهِرِ الإِسلَامِ، هَذَا مَعنَىٰ أَنَّهُ يُقتَلُ حَدًّا.

هَذَا هُوَ الحُكمُ، وَأَمَّا عِندَ التَّطبِيقِ، فَتَأتِي المَسأَلَةُ الافتِرَاضِيَّةُ، الَّتِي قَالَهَا شَيخُ الإِسلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

هَذَا حُكمُهُ؛ يَعنِي: نَحنُ لَا نَحكُمُ عَلَيهِ بِالكُفرِ، وَإِنَّمَا تَأتِي مَسأَلَةُ التَّطبِيقِ، فَيُقَالُ لَهُ: صَلِّ وَإِلَّا قُتِلتَ.

فَيَقُولُ: لَا أُصَلِّي.

يُرفَعُ السَّيفُ، حَتَّىٰ يَكُونَ بَارِقَةُ السَّيفِ وَشُعَاعُ السَّيفِ عَلَىٰ رَأسِهِ، وَبَينَ عَينَيهِ، وَيَأبَىٰ إِلَّا تَركَ الصَّلَاةِ!!

فَيَقُولُ شَيخُ الإِسلَامِ: لَا يُمكِنُ أَن يَكُونَ مُسلِمًا، وَحَالُهُ هَذِهِ.

هَذِهِ صُورَةٌ افتِرَاضِيَّةٌ، وَلِذَلِكَ لَمَّا سُئِلَ مَرَّاتٍ، كَمَا فِي «مَجمُوعِ الفَتَاوَىٰ»:

الَّذِي يَكُونُ تَارِكًا لِلصَّلَاةِ، مِن غَيرِ جُحُودٍ، وَيَمُوتُ، هَل يُصَلَّىٰ عَلَيهِ، أَو لَا يُصَلَّىٰ؟

فَقَالَ: «مَازَالَ المُسلِمُونَ فِي الأَمصَارِ كُلِّهَا، يُصَلَّىٰ عَلَيهِم، وَفِيهِم مَن هُوَ تَارِكٌ لِلصَّلَاةِ، وَمَعَ ذَلِكَ يُصَلَّىٰ عَلَيهِ وَيُدفَنُ فِي مَقَابِرِ المُسلِمِينَ، وَلَم يُقضَ بِكُفرِ أَحَدٍ مِنهُم»[1].

---

(١) «مَجمُوعُ الفَتَاوَىٰ» (٢٤/ ٢٨٧).

Scanned by CamScanner

وَهَذَا مَبْثُوثٌ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَجْوِبَتِهِ فِي تَضَاعِيفِ مَجْمُوعِ الفَتَاوَىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدِيثُ: «أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ»[1].

وَهَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، أَتَىٰ بِهِ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ الحُكمِ الَّذِي ذَكَرَ.

Scanned by CamScanner

وَأَمَّا الزَّكَاةُ؛ فَإِن كَانَ مَانِعُهَا مِمَّن لَا شَوكَةَ لَهُ، أَخَذَهَا الإِمَامُ مِنهُ قَهرًا، وَنَكَّلَهُ بِأَخذِ شَيءٍ مِن مَالِهِ؛ لِقَولِهِ ﷺ: «وَمَن مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطرَ مَالِهِ مَعَهَا»(١). الحَدِيثَ.

وَإِن كَانُوا جَمَاعَةً وَلَهُم شَوكَةٌ، وَجَبَ عَلَى الإِمَامِ قِتَالُهُم حَتَّى يُؤَدُّوهَا؛ لِلآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ وَغَيرِهَا، وَفَعَلَهُ أَبُو بَكرٍ وَالصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجمَعِينَ-.

وَأَمَّا الصَّومُ، فَلَم يَرِد فِيهِ شَيءٌ، وَلَكِن يُؤَدِّبُهُ الإِمَامُ أَو نَائِبُهُ بِمَا يَكُونُ زَجرًا لَهُ وَلِأَمثَالِهِ.

وَأَمَّا الحَجُّ، فَكُلُّ عُمُرِ العَبدِ وَقتٌ لَهُ، لَا يَفُوتُ إِلَّا بِالمَوتِ، وَالوَاجِبُ فِيهِ المُبَادَرَةُ، وَقَد جَاءَ الوَعِيدُ الأُخرَوِيُّ فِي التَّهَاوُنِ فِيهِ، وَلَم تَرِد فِيهِ عُقُوبَةٌ خَاصَّةٌ فِي الدُّنيَا. [١]

الشرح

[١] بِهَذَا فَرَغَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ مِن بَيَانِ أَركَانِ الإِسلَامِ الخَمسَةِ، وَفَرَغَ كَذَلِكَ مِن ذِكرِ حُكمِ مَن جَحَدَ شَيئًا مِنهَا، أَو مَن تَرَكَ لِنَوعِ تَكَاسُلٍ، ثُمَّ شَرَعَ بَعدَ ذَلِكَ فِي بَيَانِ الإِيمَانِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ.

---

(١) أَخرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٥٧٥)، وَالنَّسَائِيُّ (٢٤٤٤، ٢٤٤٩)، وَأَحمَدُ (٢٠٠١٦، ٢٠٠٣٨)، مِن حَدِيثِ بَهزِ بنِ حَكِيمٍ، عَن أَبِيهِ، عَن جَدِّهِ، وَحَسَّنَهُ الأَلبَانِيُّ فِي «الإِروَاءِ» (٧٩١).

Scanned by CamScanner

س (٣٦): مَا هُوَ الإِيمَانُ؟

ج: الإِيمَانُ قَولٌ وَعَمَلٌ: قَولُ القَلبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ، وَيَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنقُصُ بِالمَعصِيَةِ، وَيَتَفَاضَلُ أَهلُهُ فِيهِ. [١]

الشرح

[١] الإِيمَانُ، هُوَ: الإِقرَارُ بِالشَّيءِ، عَن تَصدِيقٍ بِهِ.

وَلَيسَ هُوَ مُطلَقَ التَّصدِيقِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُعَرِّفُ الإِيمَانَ بِأَنَّهُ التَّصدِيقُ.

وَعَلَيهِ فَالإِيمَانُ يَتَضَمَّنُ مَعنًى زَائِدًا عَلَى مُجَرَّدِ التَّصدِيقِ، وَهُو: الإِقرَارُ وَالاعتِرَافُ المُستَلزِمُ لِلقَبُولِ لِلأَخبَارِ، وَالإِذعَانِ لِلأَحكَامِ.

هَذَا مُهِمٌّ جِدًّا؛ لِمَاذَا؟

لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَتَوَقَّفُ فِي تَعرِيفِ الإِيمَانِ عِندَ حُدُودِ التَّصدِيقِ، وَهَذَا إِرجَاءٌ؛ لِأَنَّهُ التَّصدِيقُ لِلأَخبَارِ، وَالإِذعَانُ المُستَلزِمُ لِلقَبُولِ وَالإِتيَانِ امتِثَالًا بِمَا جَاءَت بِهِ الأَحكَامُ، حَتَّى يَدخُلَ فِي ذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالعَمَلِ.

وَلِأَنَّ الإِيمَانَ -كَمَا مَرَّ فِي تَعرِيفِهِ- قَولٌ وَعَمَلٌ، قَولُ القَلبِ وَاللِّسَانِ وَعَمَلُ القَلبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ، فَهُوَ اعتِقَادُ القَلبِ، وَنُطقُ اللِّسَانِ، وَالعَمَلُ بِالأَركَانِ.

Scanned by CamScanner

س (٣٧): مَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّهُ قَولٌ وَعَمَلٌ؟

ج: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]. الآيَةَ. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَهَذَا مَعنَىٰ الشَّهَادَتَينِ اللَّتَينِ لَا يَدخُلُ العَبدُ فِي الدِّينِ إِلَّا بِهِمَا، وَهِيَ مِن عَمَلِ القَلبِ اعتِقَادًا، وَمِن عَمَلِ اللِّسَانِ نُطقًا، لَا تَنفَعُ إِلَّا بِتَواطُئِهِمَا.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ يَعنِي: صَلَاتَكُم إِلَىٰ بَيتِ المَقدِسِ قَبلَ تَحوِيلِ القِبلَةِ، سَمَّىٰ الصَّلَاةَ كُلَّهَا إِيمَانًا، وَهِيَ جَامِعَةٌ لِعَمَلِ القَلبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ. [١]

وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الجِهَادَ، وَقِيامَ لَيلَةِ القَدرِ، وَصِيامَ رَمَضَانَ، وَقِيامَهُ، وَأَدَاءَ الخُمُسِ، وَغَيرَهَا مِنَ الإِيمَانِ. [٢]

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعمَالِ أَفضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ»(١).

الشرح

[١] سَمَّىٰ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بَعضَ الأَعمَالِ إِيمَانًا، فَقَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾؛ أَي: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ صَلَاتَكُم الَّتِي صَلَّيتُمُوهَا قَبلَ تَحوِيلِ القِبلَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ، صَلَّيتُمُوهَا إِلَىٰ بَيتِ المَقدِسِ.

[٢] وَكَذَلِكَ أَدَاءُ الخُمُسِ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ وَفدِ عَبدِ القَيسِ، وَفِيهِ: فَأَمَرَهُم

(١) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٦، ١٥١٩)، وَمُسلِمٌ (٨٣)، مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه.

Scanned by CamScanner

بأربع ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده.

قال: «أتدرون ما الإيمان بالله، وحده؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس».

فهذا معنى الإيمان بالله وحده؛ لأنه يقول ﷺ: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟». قالوا: الله ورسوله أعلم.

فبيّن لهم معنى الإيمان بالله وحده، فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس». والحديث في «الصحيحين»، من رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣، ٨٧، ٥٢٣، ١٣٩٨، ٣٠٩٥) ومواضع، ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

س (٣٨): مَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ زِيادَةِ الإِيمَانِ، وَنُقصَانِهِ؟

ج: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣].

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم:٧٦].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧].

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤].

﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران:١٧٣].

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

وَغَيرُ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

وَقَالَ ﷺ: «لَو أَنَّكُم تَكُونُونَ فِي كُلِّ حَالَةٍ كَحَالَتِكُم عِندِي لَصَافَحَتكُمُ المَلَائِكَةُ»(١)، أَو كَمَا قَالَ. [١]

الشرح

[١] وَمَا دَامَ يَزِيدُ فَإِنَّهُ يَنقُصُ، فَهَذِهِ الآيَاتُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ إِيمَانَ العَبدِ يَزِيدُ وَيَنقُصُ.

(١) أَخرَجَهُ مُسلِمٌ (٢٧٥٠)، مِن حَدِيثِ حَنظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ رضي الله عنه.

Scanned by CamScanner

وَهَذَا تُحِسُّهُ فِي نَفسِكَ؛ فَتُحِسُّ فِي نَفسِكَ أَحيَانًا أَنَّ إِيمَانَكَ كَأَنَّمَا هُوَ فِي السَّمَوَاتِ، وَأَحيَانًا يَنحَطُّ الإِيمَانُ جِدًّا، نَسأَلُ اللهَ أَن يَرزُقَنَا حَلَاوَةَ الإِيمَانِ وَبَردَ اليَقِينِ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَقَد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَنظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ رضي الله عنه، وَكَانَ مِن كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدِ اشتَكَىٰ لِلنَّبِيِّ ﷺ نُقصَانَ الإِيمَانِ، فَقَالَ: «إِذَا خَرَجنَا مِن عِندِكَ عَافَسنَا الأَزوَاجَ، وَالأَولَادَ، وَالضَّيعَاتِ، وَنَسِينَا كَثِيرًا».

عَافَسنَا؛ أَي: حَاوَلنَا ذَلِكَ، وَلَاعَبنَا نِسَاءَنَا وَأَطفَالَنَا وَاشتَغَلنَا بِمَعَاشِنَا، فَيُلهِينَا ذَلِكَ عَنِ الذِّكرِ، فَتَنحَطُّ حَالُنَا عَمَّا كُنَّا عَلَيهِ بَينَ يَدَيكَ فِي حَلْقَاتِ العِلمِ، وَمَجَالِسِ التَّذكِيرِ.

فَيَقُولُ: نَكُونُ عِندَكَ عَلَىٰ حَالٍ، فَإِذَا انصَرَفنَا انحَطَطنا نُوعًا مَا عَن تِلكَ الحَالِ.

وَاشتَكَىٰ مِن ذَلِكَ أَبُو بَكرٍ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا لَقِيَهُ، فَقَالَ: كَيفَ أَنتَ يَا حَنظَلَةُ؟

قَالَ: نَافَقَ حَنظَلَةُ.

قَالَ: سُبحَانَ اللهِ! مَا تَقُولُ؟

قَالَ: إِنَّا نَكُونُ عِندَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ حَالٍ، فَإِذَا انصَرَفنَا وَعَافَسنَا الزَّوجَاتِ وَالضَّيعَاتِ وَالأَولَادَ، نَسِينَا كَثِيرًا.

فَقَالَ أَبُو بَكرٍ رضي الله عنه: أَمَا إِنِّي لَأَجِدُ فِي نَفسِي مِثلَ الَّذِي تَقُولُ.

وَلَم يَرمِ نَفسَهُ بِالنِّفَاقِ رضي الله عنه، ثُمَّ ذَهَبَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَاشتَكَيَا إِلَيه.

Scanned by CamScanner

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَو أَنَّكُم تَكُونُونَ فِي كُلِّ حَالَةٍ كَحَالَتِكُم عِندِي، لَصَافَحَتكُمُ المَلَائِكَةُ فِي الطُّرُقَاتِ، وَعَلَىٰ فُرُشِكُم».

إِذَن، الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنقُصُ، لَا يَكُونُ المَرءُ فِي الصَّلَاةِ، كَمَا يَكُونُ خَارِجَ الصَّلَاةِ، وَلَا فِي مَجَالِسِ العِلمِ وَالتَّذكِيرِ وَالتِّلَاوَةِ، كَمَا يَكُونُ خَارِجَهَا.

فَلَاشَكَّ أَنَّ ذَلِكَ يَختَلِفُ، وَلَا يَكُونُ فِي حَالِ حَجِّهِ بَيتَ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مُنِيبًا مُخبِتًا بِنَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ صَالِحَةٍ، كَحَالِهِ عِندَمَا يَكُونَ مُقِيمًا فِي الوَقتِ نَفسِهِ بَينَ أَهلِهِ، فَإِنَّ الحَالَةَ تَختَلِفُ بِلَاشَكٍّ.

فَالإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنقُصُ، وَهَذَا هُوَ الدَّلِيلُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقصَانِهِ.

Scanned by CamScanner

س (٣٩): مَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ تَفَاضُلِ أَهلِ الإِيمَانِ فِيهِ؟

جـ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:١٠-٢٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٨٨-٩١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣٢]، الآيَاتِ.

وَفِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «أَنَّ اللهَ يُخرِجُ مِنَ النَّارِ مَن كَانَ فِي قَلبِهِ وَزنُ دِينَارٍ مِن إِيمَانٍ، ثُمَّ مَن كَانَ فِي قَلبِهِ نِصفُ دِينَارٍ مِن إِيمَانٍ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَخرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلبِهِ مِنَ الخَيرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلبِهِ مِنَ الخَيرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلبِهِ مِنَ الخَيرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً»(١). [١]

الشرح

[١] فَأَهلُ الإِيمَانِ، يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ، لَيسُوا سَوَاءً، وَإِنَّمَا هُم دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ فَمِنهُم مَن إِيمَانُهُ فِي الثُّرَيَّا، وَمِنهُم مَن هُوَ دُونَ ذَلِكَ.

نَسأَلُ اللهَ أَن يَرزُقَنَا حَلَاوَةَ الإِيمَانِ وَبَردَ اليَقِينِ.

(١) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٤٤٧٦، ٦٥٦٥، ٧٤٤٠، ٧٥١٦)، وَمُسلِمٌ (١٩٣) مِن حَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ

Scanned by CamScanner

س (٤٠): مَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ الإِيمَانَ يَشمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ عِندَ الإِطلَاقِ؟

جـ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثِ وَفدِ عَبدِ القَيسِ: «آمُرُكُم بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحدَهُ».

قَالَ: «أَتَدرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحدَهُ».

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ.

قَالَ: «شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَن تُؤَدُّوا مِنَ المَغنَمِ الخُمُسَ»(١).

---

(١) تقدَّمَ تخريجُهُ (ص٢٠٦).

س (٤١): مَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ تَعرِيفِ الإِيمَانِ بِالأَركَانِ السِّتَّةِ عِندَ التَّفصِيلِ؟

ج: قَولُ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا قَالَ لَهُ جِبرِيلُ عليه السلام: أَخبِرنِي عَنِ الإِيمَانِ قَالَ: «أَن تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ»(١). [١]

الشرح

[١] الإِسلامُ عِندَ الإِطلَاقِ يَشمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ، فَعِندَ الإِطلَاقِ لِلَفظِ الإِسلَامِ يَدخُلِ الإِيمَانُ، وَيَدخُلُ الإِحسَانُ، يَدخُلُ الدِّينُ كُلُّهُ.

وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ عِندَ الإِطلَاقِ يَشمَلُ الإِسلَامَ، وَيَشمَلُ الإِحسَانَ، وَيَشمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ.

وَأَمَّا عِندَ التَّفصِيلِ؛ فَالإِسلَامُ يُعَرَّفُ بِالأَركَانِ الخَمسَةِ: شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَومِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيتِ لِمَنِ استَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا، هَذَا عِندَ التَّفصِيلِ.

الإِيمَانُ عِندَ الإِطلَاقِ يَشمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ، وَأَمَّا عِندَ التَّفصِيلِ، فَهُوَ: أَن تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.

فَهُوَ سِتَّةُ أَركَانٍ، عِندَ التَّفصِيلِ، وَأَمَّا عِندَ الإِطلَاقِ فَإِنَّهُ يَشمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ.

---

(١) أَخرَجَهُ مُسلِمٌ (٨)، مِن حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَن عُمَرَ رضي الله عنه.

Scanned by CamScanner

س (٤٢): مَا دَلِيلُهَا[١] مِنَ الكِتَابِ جُملَةً؟

ج: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

وَسَنَذكُرُ -إِن شَاءَ اللهُ- دَلِيلَ كُلٍّ عَلَىٰ انفِرَادِهِ.

---

(١) يَقصِدُ أَركَانَ الإِيمَانِ السِّتَّةَ.

Scanned by CamScanner

س (٤٣): مَا مَعنَىٰ الإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ ؟

جـ هُوَ التَّصدِيقُ الجَازِمُ مِن صَمِيمِ القَلبِ بِوُجُودِ ذَاتِهِ تَعَالَىٰ، الَّذِي لَم يُسبَق بِضِدٍّ وَلَم يُعقِّب بِهِ، هُوَ الأَوَّلُ فَلَيسَ قَبلَهُ شَيءٌ، وَالآخِرُ فَلَيسَ بَعدَهُ شَيءٌ، وَالظَّاهِرُ فَلَيسَ فَوقَهُ شَيءٌ، وَالبَاطِنُ فَلَيسَ دُونَهُ شَيءٌ، حَيٌّ قَيُّومٌ، أَحَدٌ صَمَدٌ، لَم يَلِدْ وَلَم يُولَدْ، وَلَم يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، وَتَوحِيدُهُ بِإِلَهِيَّتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ. [١]

الشرح

[١] بَعدَ أَن ذَكَرَ المُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- الإِيمَانَ عَلَىٰ سَبِيلِ الإِجمَالِ شَرَعَ فِي التَّفصِيلِ.

وَسَيَنظُرُ -إِن شَاءَ اللهُ- فِي كُلِّ رُكنٍ عَلَىٰ سَبِيلِ البَيَانِ، وَالتَّفصِيلِ مِن بَعدِ هَذَا الإِجمَالِ -رَحِمَهُ اللهُ رَحمَةً وَاسِعَةً-.

فَيُفَصِّلُ الآنَ فِي الرُّكنِ الأَوَّلِ مِن الأَركَانِ السِّتَّةِ مِن أَركَانِ الإِيمَانِ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِاللهِ ﷻ.

كَثِيرٌ جِدًّا مِنَ الأُمُورِ لَا يَتَأَمَّلُ الإِنسَانُ فِيهَا، وَإِن كَانَت مُعَايِشَةً لَهُ فِي حَيَاتِهِ بِجُملَتِهَا، أَو كَانَ لَهَا مُعَايِشًا.

يَعنِي: لَو أَنَّكَ مَثَلًا كُنتَ قَاطِنًا فِي الطَّابَقِ الثَّانِي، وَسَأَلنَاكَ مَثَلًا:

كَم عَدَدُ الدَّرَجِ الَّذِي تَرقَاهُ وَتَنزِلُ عَنهُ فِي اليَومِ مَرَّاتٍ؟

فَإِنَّكَ لَن تُجِيبَ.

Scanned by CamScanner

بَل رُبَّمَا لَو سَأَلنَاكَ: كَم فِي مَسكَنِكَ الَّذِي تَسكُنُ فِيهِ مِن نَافِذَةٍ؟

تَحتَاجُ إِلَىٰ إِعمَالِ فِكرٍ لِكَي تَعُدَّهَا تَصَوُّرًا، وَأَنتَ مَعَاشِرٌ لَهَا.

بَل لَو سَأَلنَاكَ: كَم فِي فَمِكَ مِن سِنٍّ؟

لَا تُجِيبُ، بَعضُهُم لَمَّا سُئِلَ عَن ذَلِكَ فِي مَحضَرٍ مِن أَعيَانِ القَومِ أَخَذَ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ عَلَىٰ أُصُولِ الأَضرَاسِ وَالأَسنَانِ، يَعُدُّهَا بِلِسَانِهِ فَسَالَ لُعَابُهُ.

فَهَذِهِ أَسنَانُكَ لَا تَعرِفُ عَدَدَهَا، فَحَاذِر أَن تُعَامِلَ الأُمُورَ الأُخرَوِيَّةَ، كَمَا تُعَامِلُ هَذِهِ الأُمُورَ الدُّنيَوِيَّةَ.

فَأَنتَ تَقُولُ: الإِيمَانُ بِاللهِ، ثُمَّ إِذَا مَا سُئِلتَ: مَا مَعنَىٰ الإِيمَانِ بِاللهِ؟ لَا تُجِيبُ.

فَلَا تَعرِفُ ذَلِكَ تَحقِيقًا بِجَنَانٍ، وَلَا تَفصِيلًا بِلِسَانٍ، وَلَا حَرَكَةً بِأَركَانٍ، وَهَذَا مَعِيبٌ؛ بَل هُوَ مُهلِكٌ؛ لِأَنَّ الإِنسَانَ إِذَا لَم يَعرِف هَذَا الأَمرَ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَستَطِيعُ أَن يُحَقِّقَهُ؛ بَل رُبَّمَا عَادَاهُ، وَهُوَ يَحسَبُ أَنَّهُ يَنصُرُهُ.

كَمَا هُوَ الوَاقِعُ فِي حَالِ كَثِيرٍ مِنَ المُسلِمِينَ اليَومَ، رُبَّمَا يُعَادُونَ الدِّينَ ظَاهِرًا، وَهُم يَحسَبُونَ أَنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعًا.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَوَقَّفَ عِندَ حُدُودِ الأَعرَافِ الَّتِي رُبِّيَ عَلَيهَا، وَقَد تَرَبَّىٰ الجَمِيعُ فِي بِيئَاتٍ جَاهِلَةٍ، إِلَّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ.

وَهَذَا لَيسَ بِعَيبٍ، وَإِنَّمَا يَنبَغِي أَن نَخرُجَ مِن هَذَا الجَهلِ، وَالعَيبُ أَن نَظَلَّ عَلَىٰ هَذَا الجَهلِ.

Scanned by CamScanner

إذَا عَرَفَ الإنسَانُ أَنَّهُ لَيسَ بِعَالِمٍ بِدِينِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَاستَمَرَّ عَلَىٰ تِلكَ الحَالِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَعِيبُهُ.

أَمَّا إذَا خَرَجَ مِن تِلكَ الحَالِ مُحَاوِلًا أَن يَتَعَلَّمَ، وَأَن يَعرِفَ دِينَ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ لِيَأتِيَ بِهِ عَلَىٰ وَجهِهِ، فَهَذَا هُوَ المَمدُوحُ شَرعًا وَعُرفًا وَعَقلًا، وَالإنسَانُ -كَمَا هُوَ مَعلُومٌ- قَابِلٌ لِذَلِكَ بِفَضلِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

وَقَد تَعَلَّمَ أَصحَابُ النَّبِيِّ ﷺ كِبَارًا؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ الكِبَارَ أَسلَمُوا فِي كِبَرِ سِنِّهِم رضي الله عنهم.

فَتَعَلَّمَ أَصحَابُ النَّبِيِّ ﷺ كِبَارًا، وَهُم أَعلَمُ الأُمَّةِ بَعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُلُّ مَن جَاءَ بَعدَ هَؤُلَاءِ الأَصحَابِ رضي الله عنهم إِنَّمَا هُم دُونَهُم فِي العِلمِ، وَفِي العَمَلِ، وَفِي تَحقِيقِ مَعَانِي الإِيمَانِ.

فَعَلَىٰ الإنسَانِ أَن يَعرِفَ مَعنَىٰ الإِيمَانِ بِاللهِ عز وجل، حَتَّىٰ يَصِيرَ مُؤمِنًا بِاللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- حَقًّا.

مَا مَعنَىٰ أَن تَكُونَ مُؤمِنًا بِاللهِ حَقًّا؟

الجَوَابُ: هَذِهِ أَربَعَةُ أُمُورٍ لِكَي تَكُونَ مُؤمِنًا بِاللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- حَقًّا، لَابُدَّ أَن تَأتِيَ بِهَا:

التَّصدِيقُ الجَازِمُ مِن صَمِيمِ القَلبِ بِوُجُودِ ذَاتِهِ تَعَالَىٰ مَعَ مَا لَهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فِي وُجُودِهِ مِنَ الكَمَالِ وَالجَلَالِ وَالجَمَالِ.

وَلَابُدَّ أَن تُؤمِنَ بِأُلُوهِيَّتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

Scanned by CamScanner

فَهَذِهِ أَربَعَةُ أُمُورٍ لَابُدَّ مِنَ الإِتيَانِ بِهَا؛ حَتَّىٰ يُحَصِّلَ المَرءُ مَعنَىٰ الإِيمَانِ بِاللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

أَوَّلُ ذَلِكَ: أَن تُؤمِنَ بِوُجُودِ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ[١]:

وَوُجُودُ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- هُوَ أَعظَمُ اليَقِينِيَّاتِ، وَأَكبَرُ الحَقَائِقِ فِي الدُّنيَا.

وَقَد جَعَلَ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الإِقرَارَ بِوُجُودِهِ فِطرَةً، فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا.

وَلَكِنِ انحَرَفَت بَعضُ القُلُوبِ عَنِ الصِّرَاطِ المُستَقِيمِ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فِي الحَدِيثِ القُدسِيِّ الَّذِي رَوَاهُ مُسلِمٌ، مِن رِوَايَةِ عِيَاضِ بنِ حِمَارٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، عَن رَبِّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: «**إِنِّي خَلَقتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُم، فَاجتَالَتهُمُ الشَّيَاطِينُ**»[٢].

فَاللهُ رَبُّ العَالَمِينَ خَلَقَ العِبَادَ كُلَّهُم حُنَفَاءَ عَلَىٰ الحَنِيفِيَّةِ.

وَهِيَ أَنَّ لَا يُعبَدَ إِلَّا اللهُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الخَالِقُ وَحدَهُ، وَهُوَ المَالِكُ وَحدَهُ، وَهُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمرَ وَحدَهُ، وَهُوَ الَّذِي يُحيِي وَيُمِيتُ ﷻ.

فَكَانَ لَابُدَّ مِن صَرفِ العِبَادَةِ لَهُ وَحدَهُ ﷻ، فَانحَرَفَت بَعضُ القُلُوبِ عَنِ الفِطرَةِ المُستَقِيمَةِ، فَاحتَاجَت إِلَىٰ إِقَامَةِ الدَّلِيلِ.

وَقَد وَقَعَ هَذَا فِي العَصرِ الحَاضِرِ بِكَثرَةٍ لَمَّا أَلحَدَ المُلحِدُونَ، مِنَ الشُّيُوعِيِّينَ، وَمَن لَفَّ لَفَّهُم، فَأَنكَرُوا وُجُودَ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

---

(١) رَاجِع فِي ذَلِكَ «شَرح الأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» للعُثَيمِين (ص٨٠ وَمَا بَعدَهَا).

(٢) أَخرَجَهُ مُسلِمٌ (٢٨٦٥)، مِن حَدِيثِ عِيَاضِ بنِ حِمَارٍ المُجَاشِعِيِّ ﷺ.

Scanned by CamScanner

وَالمَادَّةُ الثَّانِيَةُ فِي دَسَاتِيرِ الدُّوَلِ الشُّيُوعِيَّةِ: «لَا إِلَهَ، وَالكَونُ مَادَّةٌ» هَكَذَا.

فَأَنكَرُوا وُجُودَ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

وَفِي القَدِيمِ كَانَ الدَّهرِيُّونَ، يَقُولُونَ نَحوًا مِن هَذَا الكَلَامِ، وَيُنكِرُونَ وُجُودَ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

فَنَحتَاجُ فِي إِثبَاتِ ذَلِكَ إِلَىٰ مَعرِفَةِ الأَدِلَّةِ مِنَ العَقلِ، وَالحِسِّ، وَالفِطرَةِ، وَالشَّرعِ، **لِمَاذَا نُؤَخِّرُ الشَّرعَ؟**

لِأَنَّكَ إِن نَاظَرتَ مُلحِدًا، فَهُوَ لَا يُؤمِنُ بِالشَّرعِ أَصلًا، فَإِذَا قُلتَ لَهُ: قَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَأَتَيتَ بِالآيَةِ لَم يَقبَلهَا، فَهُوَ يُنكِرُ وُجُودَ اللهِ.

إِذَا قُلتُ لَهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَتَيتَ بِالحَدِيثِ فَهُوَ لَا يُقِرُّ، وَلَا يَعتَرِفُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدرِي مَنِ اللهُ، وَلَا يَعبُدُ اللهَ، وَلَا يُقِرُّ بِاللهِ.

فَإِذَن نَحتَاجُ إِلَىٰ أَن نُخَاطِبَهُم بِالعَقلِ، وَبِالحِسِّ، وَبِالفِطرَةِ، ثُمَّ نَأتِي بِنُصُوصِ الشَّرعِ.

فَأَمَّا دَلَالَةُ العَقلِ، فَهُوَ أَن تَقُولَ:

هَل وُجُودُ هَذِهِ الكَائِنَاتِ بِنَفسِهَا، أَو وُجِدَت هَكَذَا صُدفَةً؟!

يَعنِي: أَنتَ عِندَمَا تُنَاظِرُ مُلحِدًا يُنكِرُ وُجُودَ اللهِ، تَقُولُ لَهُ: هَل لِهَذَا الكَونِ وُجُودٌ أَو لَا؟

فَإِن قَالَ: الكَونُ لَا وُجُودَ لَهُ، فَهَذَا مَجنُونٌ، وَحَقُّهُ أَن يَكُونَ دَاخِلَ أَسوَارِ

Scanned by CamScanner

البِيمَارِسْتَانِ[1]، لَا أَن يَكُونَ خَارِجَهَا، إِذَا قَالَ: هَذَا الكَونُ لَا وُجُودَ لَهُ.

فَإِذَا أَقَرَّ بِوُجُودِ الكَونِ، وَقَالَ: نَعَم، هَذِهِ مَوجُودَاتٌ، فَحِينَئِذٍ، نَقُولُ لَهُ: وَهَذِهِ المَوجُودَاتُ هَل وُجِدَت بِنَفسِهَا؟ أَم وُجِدَت هَكَذَا صُدفَةً؟ أَم أَعطَاهَا وُجُودَهَا غَيرُهَا؟ هَذِهِ ثَلَاثَةٌ لَا رَابِعَ لَهَا.

هَذِهِ المَوجُودَاتُ -هَذَا الكَونُ- هَل أَعطَىٰ نَفسَهُ وُجُودَهُ؟ أَم وُجِدَ هَكَذَا صُدفَةً؟ أَم أَنَّ غَيرَهُ قَد أَعطَاهُ وُجُودَهُ؟

إِن قَالَ: وُجِدَت بِنَفسِهَا.

نَقُولُ: هَذَا مُستَحِيلٌ عَقلًا، مَا دَامَت هِيَ مَعدُومَةً، فَكَيفَ تَكُونُ مَوجُودَةً وَهِيَ مَعدُومَةٌ؟

المَعدُومُ لَيسَ بِشَيءٍ حَتَّىٰ يُوجَدَ، هُوَ لَا يَملِكُ الوَجودَ حَتَّىٰ يُعطِيَهُ غَيرَهُ.

إِذَن لَا يُمكِنُ أَن تُوجِدَ نَفسَهَا بِنَفسِهَا.

إِذَا قَالَ: أَوجَدَت نَفسَهَا.

فَنَقُولُ حِينَئِذٍ: كَيفَ تُوجِدُ نَفسَهَا، وَهِيَ مَعدُومَةٌ، وَفَاقِدُ الشَّيءِ لَا يُعطِيهِ؟!

سَيَقُولُ: وُجِدَت صُدفَةً.

فَنَقُولُ: هَذَا يَستَحِيلُ أَيضًا؛ لِأَنَّكَ لَا يُمكِنُ أَن تَقُولَ: إِنَّ مَا أُنتِجَ مِنَ الطَّائِرَاتِ وَالصَّوَارِيخِ وَالسَّيَّارَاتِ وَالآلَاتِ بِأَنوَاعِهَا، لَا يُمكِنُ أَن تَقُولَ: إِنَّهَا وُجِدَت صُدفَةً.

---

(١) البِيمَارِسْتَانُ: المُستَشفَىٰ، وَهُوَ لَفظٌ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ. انظُر: «المُعجَمَ الوَسِيطَ»: مَادَّة: بيم.

وَهَذِهِ الآلَاتُ وَالصَّوَارِيخُ هَل هَذِهِ الطَّائِرَاتُ وَالسَّيَّارَاتُ،

إِذَا قُلنَا لَهُ: هَذِهِ

وُجِدَت صُدفَةً؟

سَيَقُولُ: هَذَا لَا يُمكِنُ أَن يَكُونَ!! كَيفَ تُوجَدُ صُدفَةً؟!

فَكَذَلِكَ نَقُولُ: هَذِهِ الجِبَالُ، وَهَذِهِ الشَّمسُ، وَهَذِهِ النُّجُومُ، وَهَذَا القَمَرُ، وَهَذِهِ الأَطيَارُ، وَهَذِهِ الأَشجَارُ، وَهَذِهِ القِفَارُ، وَهَذِهِ البِحَارُ، وَهَذِهِ الأَنهَارُ، وَهَذَا الخَلقُ مِنَ الرِّمَالِ وَغَيرِهَا، هَل كُلُّ ذَلِكَ وُجِدَ صُدفَةً؟ وَهَذِهِ الأُمُورُ الَّتِي تُنكِرُ أَن تُوجَدَ صُدفَةً، لَم تُوجَد صُدفَةً؟!

يَعنِي: هَذِهِ الطَّائِرَاتِ وَالسَّيَّارَاتِ وَالآلَاتِ لَم تُوجَد صُدفَةً، وَأَمَّا هَذَا الكَونُ بِكُلِّ مَا فِيهِ وُجِدَ صُدفَةً؟!

طَائِفَةٌ مِنَ السُّمَنِيَّةِ[1] مِن أَهلِ الهِندِ، وَكَانُوا يَجحَدُونَ وُجُودَ الخَالِقِ العَظِيمِ، جَاءُوا إِلَىٰ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَنَاظَرُوهُ فِي إِثبَاتِ الخَالِقِ ﷻ.

وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ مِن أَذكَىٰ العُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَعَدَهُم أَن يَأتُوا بَعدَ يَومٍ أَو يَومَينِ، فَضَرَبَ لَهُم مَوعِدًا، فَلَمَّا جَاءُوا حَضَرَ هُوَ مُتَأَخِّرًا.

فَقَالُوا لَهُ: لِمَ تَأَخَّرتَ؟

قَالَ: أَنَا عِندَمَا أَردتُ أَن أَعبُرَ النَّهرَ لَم أَجِدِ السَّفِينَةَ، وَكُنتُ بِجِوَارِ شَجَرَةٍ،

---

(١) **السُّمَنِيَّةُ:** طَائِفَةٌ مِن أَهلِ الهِندِ، دَهرِيُّونَ مِن أَصحَابِ التَّنَاسُخِ، وَمِنَ القَائِلِينَ بِقِدَمِ العَالَمِ، وَيُنكِرُونَ المَعَادَ وَالبَعثَ، انظُر: «الفَرقَ بَينَ الفِرَقِ» (ص٢٥٣، ط دَارِ الآفَاقِ الجَدِيدَةِ - بَيرُوت)، وَ«شَرحَ الطَّحَاوِيَّةِ» (٢/ ٧٩٥، ط الرِّسَالَةِ).

Scanned by CamScanner

فَنَظَرتُ إِلَيهَا فَتَقَطَّعَت أَلوَاحًا، ثُمَّ انضَمَّ كُلُّ لَوحٍ إِلَىٰ الآخَرِ، ثُمَّ صَارَت سَفِينَةَ ذَاتَ أَلوَاحٍ وَدُسُرٍ، وَلَا رُبَّانَ لَهَا وَلَا شِرَاعَ، وَلَا أَحَدَ يَقُودُهَا يَمخُرُ بِهَا عُبَابَ النَّهرِ، فَرَكِبتُهَا فَأَتَت بِي بِنَفسِهَا، ثُمَّ نَزَلتُ وَجِئتُ إِلَيكُم، فَاعذِرُونِي فَقَد أَخَذَ ذَلِكَ وَقتًا.

فَنَظَرَ بَعضُهُم إِلَىٰ بَعضٍ، وَقَالُوا: تُصنَعُ وَحدَهَا، وَلَا رُبَّانَ لَهَا، وَتَسِيرُ وَحدَهَا مِن غَيرِ أَن يُسَيِّرَهَا أَحَدٌ، تُفَكِّرُ أَنتَ بِهَذَا؟!

قَالَ: نَعَم.

قَالُوا: إِذَن لَا عَقلَ لَكَ، هَل يُعقَلُ أَن سَفِينَةً تَصنَعُ هَكَذَا، ثُمَّ تَسِيرُ بِغَيرِ قَائِدٍ، وَتَنزِلُ عَن ظَهرِهَا، ثُمَّ تَنصَرِفُ عَائِدَةً؟!! هَذَا لَيسَ بِمَعقُولٍ!!

قَالَ: كَيفَ لَا تَعقِلُونَ هَذَا الشَّيءَ، وَتَعقِلُونَ أَنَّ هَذِهِ السَّمَوَاتِ، وَالشَّمسَ، وَالقَمَرَ، وَالنُّجُومَ، وَالجِبَالَ، وَالشَّجَرَ، وَالدَّوَابَّ، وَالنَّاسَ كُلَّهُم، كَيفَ تَعقِلُونَ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ وُجِدَ بِغَيرِ مُوجِدٍ، وَصُنِعَ بِغَيرِ صَانِعٍ؟؟!

فَعَرَفُوا أَنَّ الرَّجُلَ خَاطَبَهُمْ بِعُقُولِهِم، وَعَجَزُوا عَن جَوَابِهِ هَذَا، أَو مَعنَاهُ[1].

وَقِيلَ لِأَعرَابِيٍّ مِنَ البَادِيَةِ -وَالأَعرَابُ فِي البَادِيَةِ، قَبلَ الإِسلَامِ، كَانُوا يَبُولُونَ عَلَىٰ أَعقَابِهِم، مِن أَكلَةِ الشِّيحِ وَالقَيصُومِ، لَا يَعرِفُونَ شَيئًا، وَلَا يُعمِلُونَ عُقُولَهُم إِلَّا فِي المُفرَدَاتِ الَّتِي يَعِيشُونَ بَينَهَا-.

فَقِيلَ لَهُ: بِمَ عَرَفتَ رَبَّكَ؟

---

(١) «شَرحُ العَقِيدَةِ الوَاسِطِيَةِ - مَجمُوعُ فَتَاوَىٰ وَرَسَائِلِ العُثَيمِين» (٨/ ٤٢).

Scanned by CamScanner

قَالَ: الأَثَرُ يَدُلُّ عَلَى المَسِيرِ، وَالبَعرَةُ تَدُلُّ عَلَى البَعِيرِ، سَمَاءٌ ذَاتُ أَبرَاجٍ، وَأَرضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ، وَبِحَارٌ ذَاتُ أَموَاجٍ، أَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى اللَّطِيفِ الخَبِيرِ؟!»(١).

فَتَأَمَّل فِي استِدلَالِهِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

إِذَن، العَقلُ يَدُلُّ دَلَالَةً قَاطِعَةً عَلَى وُجُودِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

* وَأَمَّا دَلَالَةُ الحِسِّ عَلَى وُجُودِ رَبِّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-:

فَإِنَّ الإِنسَانَ يَدعُو اللهَ ﷻ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، وَيَدعُو بِالشَّيءِ، وَيُستَجَابُ لَهُ فِيهِ، فَهَذِهِ دَلَالَةٌ حِسِّيَّةٌ.

هُوَ نَفسُهُ لَم يَدعُ إِلَّا اللهَ، وَهُوَ نَفسُهُ استَجَابَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَهُ، وَرَأَى ذَلِكَ رَأيَ العَينِ.

وَكَذَلِكَ مَن سَبَقَنَا؛ نَسمَعُ عَمَّا وَقَعَ لَهُم مِن دُعَائِهِمُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَاستَجَابَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَهُم.

فَالأَعرَابِيُّ الَّذِي دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يَخطُبُ النَّاسَ يَومَ الجُمُعَةِ عَلَى المِنبَرِ.

فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكَتِ الأَموَالُ -يَعنِي: المَوَاشِيَ، خُصُوصًا الإِبِلَ- وَانقَطَعَتِ السُّبُلُ -أَي: الطُّرُقُ؛ فَلَم تَسلُكهَا الإِبِلُ خَوفَ الهَلَاكِ، أَو لِشِدَّةِ الضَّعفِ- فَادعُ اللهَ يُغِيثُنَا.

---

(١) انظُر: «إِيثَارَ الحَقِّ عَلَى الخَلقِ» (ص ٥٢، ط العِلمِيَّةِ)، وَ«لَوَامِعَ الأَنوَارِ» (١/ ٢٧٢).

Scanned by CamScanner

قَالَ أَنَسٌ ﷺ: وَاللهِ مَا فِي السَّمَاءِ مِن سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ -أي: وَلَا قِطعَةٍ مِن سَحَابٍ- وَمَا بَيننَا وَبَينَ سَلعٍ -وَهُو جَبَلٌ فِي المَدِينَةِ تَأتِي مِن جِهَتِهِ السُّحُبُ- مِن بَيتٍ وَلَا دَارٍ، فَأَنشَأَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- سَحَابَةً مِثلَ التُّرسِ، بَعدَ دُعَاءِ الرَّسُولِ ﷺ، ارتَفَعَت فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ انتَشَرَت وَرَعَدَت وَبَرَقَت، وَنَزَلَ المَطَرُ، فَمَا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِلَّا وَالمَطَرُ يَتَحَادَرُ مِن لِحيَتِهِ ﷺ»[1].

هَذَا أَمرٌ وَاقِعٌ يَدُلُّ عَلَىٰ وُجُودِ الخَالِقِ دَلَالَةً حِسِّيَّةً، وَمَا زَالَ النَّاسُ إِلَىٰ يَومِ النَّاسِ هَذَا يَستَسقُونَ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فَيَسقِيهِمُ اللهُ ﷻ، يُصَلُّونَ صَلَاةَ الِاستِسقَاءِ، فَيُرسِلُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عَلَيهِمُ الغَيثَ مِنَ السَّمَاءِ مِدرَارًا.

هَذِهِ دَلَالَةٌ حِسِّيَّةٌ، هَذَا أَمرٌ وَاقِعٌ، لَاشَكَّ أَنَّ كُلًّا مِنَّا وَجَدَهُ فِي نَفسِهِ يَومًا مِنَ الدَّهرِ، ضَاقَت بِهِ السُّبُلُ، فَدَعَا رَبَّهُ، فَاستَجَابَ اللهُ لَهُ.

فِي القُرآنِ العَظِيمِ كَثِيرٌ مِن هَذَا؛ كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]. إِلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

* وَأَمَّا دَلَالَةُ الفِطرَةِ:

فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَم تَنحَرِف فِطَرُهُم، يُؤمِنُونَ بِوُجُودِ اللهِ، حَتَّىٰ البَهَائِمُ العُجمُ، تُؤمِنُ بِوُجُودِ اللهِ.

تُذكَرُ قِصَّةُ النَّملَةِ، الَّتِي ذَكَرَهَا السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ المَنثُورِ»، وَعَزَاهَا لِابنِ أَبِي شَيبَةَ، وَأَحمَدَ فِي «الزُّهدِ»، وَابنِ أَبِي حَاتِمٍ، عَن أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ،

---

(١) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٩٣٢، ٩٣٣) وَمَوَاضِعَ، وَمُسلِمٌ (٨٩٧)، مِن حَدِيثِ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ.

Scanned by CamScanner

وَكَذَلِكَ ذَكَرَهَا العَلَّامَةُ ابنُ القَيِّمِ فِي «اجتِمَاعِ الجُيُوشِ».

وَهِيَ القِصَّةُ الَّتِي رُوِيَت عَن سُلَيمَانَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- خَرَجَ يَستَسقِي، فَخَرَجَ النَّاسُ مَعَهُ إِلَىٰ الصَّعِيدِ لِدُعَاءِ رَبِّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ لِيُنزِلَ الغَيثَ.

فَوَجَدَ سُلَيمَانُ نَملَةً مُستَلقِيَةً عَلَىٰ ظَهرِهَا، رَافِعَةً قَوَائِمَهَا نَحوَ السَّمَاءِ، تَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّا خَلقٌ مِن خَلقِكَ، فَلَا تَمنَع عَنَّا سُقيَاكَ».

فَقَالَ سُلَيمَانُ لِمَن كَانَ مَعَهُ: «ارجِعُوا فَقَد سُقِيتُم بِدَعوَةِ غَيرِكُم»(١).

وَذَكَرَ ذَلِكَ العَلَّامَةُ ابنُ القَيِّمِ، فِي الدَّلَالَةِ عَلَىٰ عُلُوِّ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-(٢).

الفِطَرُ مَجبُولَةٌ عَلَىٰ مَعرِفَةِ اللهِ ﷻ وَتَوحِيدِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ فَطَرَ النَّاسَ عَلَىٰ الحَقِّ، عَلَىٰ الفِطرَةِ المُستَقِيمَةِ.

وَالإِنسَانُ مَجبُولٌ عَلَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ اللهَ ﷻ لَهُ الوُجُودُ الحَقُّ، وَعَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ

---

(١) أَخرَجَهُ ابنُ أَبِي شَيبَةَ فِي «المُصَنَّفِ» (٢٩٤٨٧، ٣٤٢٧٣، ط الرُّشدِ)، وأَحمَدُ فِي «الزُّهدِ» (٤٤٩، ط العِلمِيَّةِ)، وابنُ حِبَّانَ فِي «الثِّقَاتِ» (٨/ ٤١٤)، وَابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفسِيرِهِ» (٩/ ٢٨٥٨)، والطَّبَرَانِيُّ فِي «الدُّعَاءِ» (٩٦٨، ط العِلمِيَّةِ)، وأَبُو نُعَيمٍ فِي «الحِليَةِ» (٣/ ١٠١)، مِن طَرِيقِ: مِسعَرٍ، عَن زَيدٍ العَمِّيِّ، عَن أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ: «أَنَّ سُلَيمَانَ بنَ دَاوُدَ، خَرَجَ بِالنَّاسِ يَستَسقِي، فَمَرَّ عَلَىٰ نَملَةٍ مُستَلقِيَةٍ عَلَىٰ قَفَاهَا، رَافِعَةٍ قَوَائِمَهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا خَلقٌ مِن خَلقِكَ لَيسَ لَنَا غِنًى عَن رِزقِكَ، فَإِمَّا أَن تَسقِيَنَا وَإِمَّا أَن تُهلِكَنَا. فَقَالَ سُلَيمَانُ لِلنَّاسِ: ارجِعُوا فَقَد سُقِيتُم بِدَعوَةِ غَيرِكُم».

(٢) «اجتِمَاعُ الجُيُوشِ الإِسلَامِيَّةِ» (٢/ ٣٢٩، مَطَابِعُ الفَرَزدَقِ التِّجَارِيَةِ - الرِّيَاضُ).

Scanned by CamScanner

وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَعَلَىٰ كَمَالِ أَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

هَذِهِ الآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الإِنسَانَ مَجبُولٌ بِفِطرَتِهِ، عَلَىٰ شَهَادَتِهِ بِوُجُودِ اللهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ ﷻ.

وَهَذَا ثَابِتٌ سَوَاءٌ أَقُلنَا: إِنَّ اللهَ استَخرَجَهُم مِن ظَهرِ آدَمَ وَاستَشهَدَهُم، أَو قُلنَا: إِنَّ هَذَا مَا رَكَّبَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي فِطَرِهِم مِنَ الإِقرَارِ بِهِ، فَشَهِدُوا حَالًا، أَو مَقَالًا، أَو حَالًا وَمَقَالًا عَلَىٰ التَّفصِيلِ المَعرُوفِ، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الإِنسَانَ يَعرِفُ رَبَّهُ بِفِطرَتِهِ.

فَهَذِهِ أَدِلَّةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ وُجُودِ اللهِ ﷻ.

* وَأَمَّا دَلَالَةُ الشَّرعِ، فَذَلِكَ:

أَنَّ مَا جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ مِن شَرَائِعِ رَبِّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- المُتَضَمِّنَةِ لِجَمِيعِ مَا يُصلِحُ الخَلقَ، يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي أَرسَلَ رُسُلَهُ بِهَا إِنَّمَا هُوَ رَبٌّ رَحِيمٌ حَكِيمٌ.

خَاصَّةً كِتَابَ رَبِّنَا المَجِيدِ، القُرآنَ العَظِيمَ الَّذِي أَعجَزَ البَشَرَ وَالجِنَّ، فَلَا يَستَطِيعُونَ الإِتيَانَ بِمِثلِ أَقصَرِ سُورَةٍ فِيهِ، فَهَذِهِ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ وُجُودِ رَبِّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَهُوَ أَوَّلُ شَيءٍ فِي الإِيمَانِ بِاللهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَهُوَ الرُّكنُ الأَوَّلُ مِن أَركَانِ الإِيمَانِ: أَن تُؤمِنَ بِاللهِ.

Scanned by CamScanner